بسم ا   الرحمن الرحيم



رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ بين صدق الحقيقة وافتراء المشككين

بحث مقدم لمؤتمر الانتصار للصحيحين المنعقد في الفترة من 14– 2010/7/15م
بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية

إعداد
د/ محمد رمضان أبو بكر محمود
أستاذ مساعد بجامعة الأزهر بمصر وجامعة حائل بالسعودية

مقدمة

الحمد   الذي أنزل القرآن الكريم هدى للمتقين ، وبعث رسوله محمـداً ρ هاديـاً للعـالمين ، والـصلاة والسلام على من أوضح بسنته معالم الدين ، وبين بسيرته طريق الراشدين ، وعلى آلـه وأصـحابه الغـر الميامين ، وعلى من اقتفى آثـارهم وتـبعهم بإحـسان إلـى يـوم الـدين . جعلنـا ا   مـنهم . آمـين .

وبعد ،،،،

فإن السنة النبوية المطهرة تنال من هجوم أعداء الإسلام في الداخل والخارج القـسط الـوافر والنـصيب الأكبر ، وذلك لما يعلمونه عنها من كونها منارة الإسلام ، وترجمان القرآن ، والبيان الشافي المفصل لشريعة الرحمن . وقد تركز الهجوم في الآونة الأخيرة على الصحيحين (صحيح البخاري ومسلم)، وذلك لما لهمـا من أثر عظيم في حفظ السنة ، وجمع أصح رواياتها في كتاب واحد ، ولما لهما مـن مكانـة سـامية عنـد المسلمين جميعاً ، فقد تلقتهما الأمة بالقبول ، وصارا عندها أصح الكتب وأوثقها بعد كتاب ا   Y .

ومن أحاديث الصحيحين التي حاول أعداء الإسلام من المستشرقين والمنـصرين فـي الآونـة الأخيـرة استغلالها في الهجوم على شخصية النبي ρ ، وتشويه صورته الكريمة أمام العالم حديث زواجه ρ بالـسيدة عائشة – رضي ا   عنها –وهي في التاسعة من عمرها . حيث ادعوا أن هذا الزواج شيء مشين ، وانتهـاك للطفولة البريئة المتمثلة في شخصية السيدة عائشة ، وأنه لايوجد دافع وراء مثل هذا الزواج من رجـل فـي الرابعة والخمسين من طفلة في التاسعة سوى المتعة الجسدية، وصاروا يقيسون السيدة عائـشة علـى بنـات التاسعة اليوم في المجتمعات المعاصرة .

وانطلى هذا الباطل – للأسف الشديد – على نفر من المؤرخين والباحثين المسلمين ، وزاد من تـصديقهم له عوامل أخرى من مثل تقديمهم العقل على الشرع ، وافتتانهم بالمواثيق الدولية لحقوق المـرأة والطفـل ، ومحاولاتهم المستمرة التوفيق بينها وبين الإسلام حتى لايتهم الإسلام بالتخلف من وجهة نظرهم ، وفي نفس الوقت ما يقع أحيانا من تزويج بعض الآباء بناتهم الصغيرات من غير الأكفاء طلباً للمال أو المنصب والجاه.

فصار هؤلاء المؤرخون والكاتبون يبحثون عن أية شبهات يردون بها رواية الصحيحين في عمر الـسيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ ، ويشككون العامة والخاصة في صحتها . بل صار بعضهم يضرب بها المثـل على التشكيك في الصحيحين عامة . وبدأوا يشيعون أن السيدة عائشة عند زواجها بالنبي – ρ– كانـت فـي الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة أو الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من عمرها على أكثر تقدير وصلوا إليه ، وليست في التاسعة كما هو مروي في الصحيحين .

وقد دفعني حبي للنبي ρ وسنته بوجه عام ، وللصحيحين بوجه خاص أن أقوم بتتبع هذه الـشبهات التـي يشاغبون بها على هذه الرواية المباركة وجمعها ؛ لكي أضعها في محك البحث العلمي أمام رواية الصحيحين ، فكان هذا البحث الذي عنونت له بـ : " **رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجهـا بـالنبي ρ بين صدق الحقيقة وافتراء المشككين** "

هدف البحث

يهدف البحث الذي بين أيدينا إلى الإجابة على سؤال كبير مفاده : هل أثرت هذه الشبهات التي وردت على رواية الصحيحين في شأن عمر السيدة عائشة عند زواجها من النبي ρ في صدقها وصحتها ؟ ويتفرع عـن هذا السؤال أسئلة فرعية حول كل شبهة من الشبهات على حدة على النحو التالي :

تساؤلات الدراسة

1 - ما أصل كل شبهة من هذه الشبهات ؟

2- هل تستطيع هذه الشبهات أن تقوم على ساق لتضعف أو توهن من رواية الصحيحين ؟

3- هل يوجد تعارض بين الشبهات التى أثاروها من الصحيحين مع هذه الرواية التي معنا ؟

4- هل مصادر هذه الشبهات تتساوق مع قيمة الصحيحين ومكانتهما العلمية ؟

منهج البحث

يعتمد هذا البحث في المبحث الرئيس منه على المنهج الجدلي ذلك " المنهج الذي يحدد طريقـة التنـاظر والتحاور في الجماعات العلمية ، أو في المناقشات العلمية على اختلافها ."([1])

والمقصود من استعمال هذا المنهج في بحثي هذا دعوة أصحاب الشبهات حول رواية الـصحيحين إلـى الرجوع إلى الحق ، والتخلي عن اللجاجة والعناد في موقفهم من هذه الرواية التي بلغت أعلى درجات الصحة سنداً ومتناً لاتفاق صاحبي الصحيحين عليها .كما أمرنا رب العزة في القرآن الكريم حين قـال :{ ادع إِلـى سبِيلِ ربك بِالْحِكْمةِ والْموعِظَةِ الْحسنَةِ وجادِلْهم بِالَّتِي هِي أَحسن .... } [النحل : 125]

طريقة البحث

من خلال المنهج السابق سلك الباحث طريقة في بحثه تتلخص في النقاط الآتية :

1- عرض كل الروايات الواردة في الصحيحين لعمر السيدة عائشة حين زواجها بالنبي ρ .

2- استنباط بعض الأسباب الدافعة إلى معارضة رواية الصحيحين بهذه الشبهات .

3- التنويه بذكر أصحاب الشبهات ودوافعهم الظاهرة من خلال كتاباتهم .

4- عرض كل شبهة على حدة والرد عليها عقبها مباشرة .

5- الرجوع إلى مصدر الشبهة ، وبيان الأصل الذي بنيت عليه ، ثم الكر عليها بالبطلان من خـلال هدم هذا الأصل من المصادر الإسلامية الأصيلة .

6- الإلماح إلى أسباب ذيوع هذه الشبهات في عصرنا الحاضر .

[1] - انظر مناهج البحث العلمي الدكتور/ عبد الرحمن بدوي ص 19 ط/ وكالة المطبوعات بالكويت ط/ ثالثة 1977 .

الدراسات السابقة

لم أعثر على دراسة سابقة توافرت على رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ ومـا يدور حولها من افتراءات وشبهات ، وإنما قد يتعرض أحد الباحثين لهذه القضية في ثنايا بحثـه كمـا فعـل الباحث / محمود سليمان على في أطروحته للماجستير والتي بعنوان " أم المؤمنين عائـشة ومروياتهـا فـي التفسير من الكتب الستة وتفسير الطبري "([1]) . حيث ذكر شبهات الأستاذ / العقاد الثلاثة حول عمر الـسيدة عائشة وقام بالرد عليها .

وهناك بعض المقالات المتناثرة والمحاضرات الصوتية لبعض الباحثين والدعاة على شـبكة المعلومـات الدولية حول الرد على بعض هذه الشبهات . لكن أحداً منها لم يستوعب جميع الشبهات ، فضلاً عن أن معظم الردود ليست علمية موثقة ، وبعضها يتسم بالضعف .

خطة البحث

جاء البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو التالي :

المقدمة : وتشتمل على هدف البحث ، ومنهجه ، وطريقته ، والدراسات السابقة ، وخطة البحث .

المبحث الأول : صدق الحقيقة في عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ .

المبحث الثاني : شبهات المشككين في رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ والـرد عليها .

الخاتمة : وبها أهم نتائج البحث وتوصياته .

وفي الختام .. أسأل ا Y أن أكون بهذا البحث المتواضع ممن يخدمون سـنة الحبيـب محمـد ρ ، وأن يكون فاتحة خير لأن يستعملني في الدفاع عنها والذب عن مقام النبي ρ . وأن ينفع به قارئه ومؤلفه ، وكـل من ينظر فيه ، ويرزقهم به شفاعة الحبيب ρ يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى ا بقلب سليم .

الباحث

محمد رمضان أبو بكر محمود

أستاذ مساعد بجامعتي الأزهر بمصر وحائل بالسعودية

---

[1] - رسالة ماجستير بقسم الكتاب والسنة – كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القري سنة 1410هـ

المبحث الأول

صدق الحقيقة في عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ([1])

وردت رواية عمر السيدة عائشة– رضي ا عنها -عند زواجها بالنبي – ρ - في أصح كتب السنة في صحيحي البخاري ومسلم ، وذلك على النحو الآتي :

أولاً : في صحيح البخاري :

روى الإمام البخاري عمر السيدة عائشة– رضي ا عنها - عند زواجها بالنبي – ρ -في خمسة مواضع من صحيحه وهي :

1-كتاب المناقب –باب تزويج النبي ρ عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها

قال الإمام البخاري – رحمه ا - : حدثني فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي ا عنها قالت : تزوجني النبي ρ وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة ، فنزلنا في بني الحارث بن خزرج ، فوعكت([2]) ؛ فتمزق شعري ، فوفى([3]) جميمة([4]) ، فأتتني أمي أم رومان ، وإني لفي أرجوحة([5]) ، ومعي صواحب لي فصرخت بي ، فأتيتها لا أدري ما تريد بي ، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار - وإني لأنهج([6]) حتى سكن بعض نفسي - ثم أخذت شيئا من ماء ، فمسحت به وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدار ، فإذا نسوة من الأنصار في البيت ، فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر ، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني ، فلم يرعني إلا رسول ا ρ ضحى ، فأسلمتني إليه ، وأنا يومئذ بنت تسع سنين ."([7])

2 - وفي نفس الكتاب والباب بإسناد آخر قال – أيضاً - حدثني عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال : توفيت خديجة قبل مخرج النبي ρ إلى المدينة بثلاث سنين فلبث سنتين أو قريبا من ذلك ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين . "([8])

---

[1] - عبرت عن رواية الصحيحين بصدق الحقيقة ، وما يضادها بالافتراء والتشكيك ؛ لأن هذا ما يعتقده كل مسلم فاهم لدينه في الصحيحين ، ومع هذا اليقين بصدق رواية الصحيحين فإني لن أغفل ذكر شبهة وقفت عليها اعترض بها أحد على هذه الرواية ، وسأقوم – بمشيئة ا تعالى- بعرض شبهاتهم بصورة واضحة على حسب ما تقضيه الأمانة العلمية .

[2] - وعكت : أي ألمت بها الحمى{ النهاية في غريب الأثر لابن الأثير الجزري ج 5 ص 453 ط / المكتبة العلمية بيروت 1979م }

[3] - وفى : وفى الشيء ووفى إذا تم وكمل (النهاية في غريب الأثر - (ج 5 / ص 469)

[4] - جميمة : تصغير جمة وهي : ما سقط على المنكبين من الشعر (النهاية 1 /814)

[5] - أرجوحة : حبل يشد طرفاه في موضع عال ثم يركبه الإنسان ويرك وهو فيه سمى به لتحركه ومجيئه وذهابه { النهاية في غريب الأثر - 2 / 487}

[6] - النهج بالتحريك : الربو وتواتر النفس من شدة الحركة أو فعل متعب . {النهاية في غريب الأثر - (5 / 281)}

[7] - ج 3 ص 1063 ح/ 3894 ط/ دار ابن كثير –اليمامة – بيروت ط/ ثالثة 1987م

[8] - نفس الجزء والصفحة . ح / 3896 .

3- كتاب النكاح – باب إنكاح الرجل ولده الصغار لقوله تعالى { واللائِي لم يحِضن} فجعـل عـدتها ثلاثة أشهر قبل البلوغ

قال – رحمه ا - حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي ا عنهـا : أن النبي ρ تزوجها وهي بنت ست سنين وأدخلت عليه وهي بنت تسع ومكثت عنده تسعا . "([1])

4- وفي كتاب النكاح – أيضاً - باب تزويج الأب ابنته من الإمام وقال عمر خطب النبي ρ حفصة فأنكحته.

قال : حدثنا معلى بن أسد حدثنا وهيب عن هشام بن عروة عن عائشة أن النبي ρ تزوجها وهـي بنـت ست سنين وبنى بها وهي بنت تسع سنين . وقال هشام وأنبئت أنها كانت عنده تسع سنين . "([2])

5 - وفي نفس الكتاب - باب من بنى بامرأة وهي بنت تسع سنين .

قال الإمام البخاري حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن عروة : تزوج النبـي ρ عائشة وهي ابنة ست سنين وبنى بها وهي ابنة تسع ومكثت عنده تسعا **. "([3])**

ثانياً : في صحيح الإمام مسلم :

روى الإمام مسلم في صحيحه عمر السيدة عائشة– رضي ا عنها - عند زواجها بـالنبي – ρ - فـي كتاب النكاح – باب تزويج الأب البكر الصغيرة بعدة أسانيد على النحو التالي([4])

1- قال حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة ح وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال وجدت في كتابي عن أبى أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت تزوجني رسول ا -ρ - لست سنين وبنى بي وأنا بنت تسع سنين . قالت : فقدمنا المدينة ، فوعكت شهرا ، فوفى شعري جميمة فأتتني أم رومان ، وأنا على أرجوحة ، ومعي صواحبي ، فصرخت بي ، فأتيتها ، وما أدرى ما تريد بي فأخذت بيدي ، فأوقفتني علـى الباب. فقلت هه هه. حتى ذهب نَفَسي ، فأدخلتني بيتا ، فإذا نسوة من الأنصار ، فقلن على الخير والبركـة وعلى خير طائر . فأسلمتني إليهن فغسلن رأسي وأصلحنني ، فلم يرعنـي إلا ورسـول ا -ρ - ضـحى فأسلمنني إليه."

2- وقال حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو معاوية عن هشام بن عروة ح وحدثنا ابن نمير - واللفظ له - حدثنا عبدة - هو ابن سليمان - عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت تزوجني النبي -ρ - وأنا بنـت سـت سنين ، وبنى بي وأنا بنت تسع سنين ."

---

[1] - ج 4 ص 1430 ح / 5133 .

[2] - نفس الجزء والصفحة ح /5134 .

[3] - ج4 ص 1435 ح / 5158 .

[4] - صحيح مسلم بترتيب / محمد فؤاد عبد الباقي ج 2 ص 1038 ح / 1422 ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت

3- وقال حدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة : أن النبى -ρ - تزوجها وهى بنت سبع سنين ، وزفت إليه وهى بنت تسع سنين ، ولعبها معها ، ومـات عنهـا وهى بنت ثمان عشرة "

4 – وقال حدثنا يحيى بن يحيى وإسحاق بن إبراهيم وأبو بكر بن أبى شيبة وأبو كريـب قـال يحيـى وإسحاق أخبرنا وقال الآخران حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عـن عائـشة قالـت : تزوجها رسول ا -ρ - وهى بنت ست ، وبنى بها وهى بنت تسع ، ومات عنها وهى بنت ثمان عشرة. "

فهذه الروايات التسع في الصحيحين تجمع على أن النبي – ρ - تزوج السيدة عائشة – أي عقد عليها - ، وهي في السادسة من عمرها ، وبنى بها – أي دخل بها – وهي في التاسعة من عمرهـا مـا عـدا روايـة الزهري عن عروة عن عائشة في صحيح مسلم بلفظ سبع ، وقد أجاب الإمام النووي عن هذا الاختلاف فـي هذه الرواية فأحسن وأجاد حين قال : " وأما قولها في رواية تزوجني وأنا بنت سبع ، وفي أكثر الروايـات بنت ست ، فالجمع بينهما أنه كان لها ست وكسر ، ففي رواية اقتصرت على السنين ، وفي روايـة عـدت السنة التي دخلت فيها وا أعلم "([1])

وتبعه الإمام ابن القيم في هذا التوفيق بين الروايتين فقال : " وليس شيء من هذا بمختلف ، فإن عقـده ρ عليها كان وقد استكملت ست سنين ودخلت في السابعة ، وبناؤه بها كان لتسع سنين من مولدها ، فعبر عـن العقد بالتزويج وكان لست سنين ، وعبر عن البناء بها بالتزويج وكان لتسع . فالروايتان حق . "([2])

وليس كون السيدة عائشة كانت في السادسة وأشهر حين عقد عليها النبي ρ ، وكانت في التاسـعة مـن عمرها حين دخل بها مروي في الصحيحين فقط – وإن كانا كافيين في ذلك - ولكنه مروي في جميع كتب السنن والمسانيد والمعاجم مما لو استقصينا كل هذه الروايات وذكرناها لطال بنا المقام .

ولصدق هذا الأمر وحقيقته لم يختلف حوله الفقهاء والعلماء في جميع القرون السابقة ، والدليل على هذا ما قاله الإمام ابن كثير – رحمه ا – : " وقوله " تزوجها وهي ابنة ست سنين ، وبنى بها ، وهي ابنة تسع سنين " مما لاخلاف فيه بين الناس ، وقد ثبت في الصحاح وغيرها . "([3])

ومع تلقى الأمة جميعاً لرواية الصحيحين وغيرهما في عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ بالرضـا والقبول طوال القرون السابقة خرج علينا في زماننا هذا من بني جلدتنا ، وممن يدينون بالإسلام من يطعـن في صحة هذه الرواية ، ويجتهد في جمع الشبهات من هنا وهناك لردها ومعارضتها . وكأن الأمـة جميعـاً بعلمائها وفقهاءها نامت عن هذه الرواية طوال هذه القرون ليكتشفوا هم خطئها اليوم ! . وللرد على هـؤلاء يأتي المبحث الآتي :

---

[1] - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج 9 ص 207ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت - الطبعة الثانية ، 1392هـ

[2] حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ج 6 ص 111 ط / دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة الثانية ، 1415

[3] - السيرة النبوية ج 2 ص 141 ط/ الحلبي ط 1964 م

المبحث الثاني

شبهات المشككين في رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ والرد عليها

استوقف عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ بعضاً من المؤرخين والباحثين في العصر الحديث ، ونظروا إلى الروايات التي وردت في الصحيحين وغيرهما ، والتي تنص على أن النبي ρ عقد عليها وهي في السادسة وعدة أشهر من عمرها ، وبنى بها وهي في التاسعة من عمرها نظرة استنكار ورد، وذلك لعدة أسباب :

1- إتباعهم للمستشرقين وأعداء الإسلام في أن هذا الأمر لايقبله العقل في زماننا هذا لأن بنت التاسعة أو العاشرة اليوم تعد طفلة فكيف تطيق الزواج ؟ ، وكيف دخل بها النبي ρ وهي في هذه السن الصغيرة والطفولة البريئة ، فالعقل عندهم هو الفصل وليس الشرع .

2- اجتياح العالم اليوم موجة المطالبة بحقوق المرأة والطفل في المواثيق الدولية والمنظمات الإنسانية حتى أصبحت هذه المواثيق بمثابة ورقة ضغط على الحكومات والدول التي لاتطبق مفهوم الغرب في حرية المرأة والطفل ، لذا يريد هؤلاء الباحثون أن يؤكدوا أن الإسلام يتماشى مع هذه المواثيق ، ولو على حساب النصوص الشرعية.

3- استغلال قلة قليلة من المسلمين لهذه الروايات الصحيحة استغلالاً سيئاً في تزويج بناتهم الصغيرات من كبار السن – خاصة الأثرياء منهم - ، فبدل أن يقوم هؤلاء الباحثون بدورهم في توضيح كيفية تنزيل الرواية والحكم الشرعي على الواقع الحالي ، مع بيان اختلاف الزمان ، و تغير الدوافع وراء الزواج ذهبوا يردون الروايات الصحيحة لسوء تطبيق المسلمين لها ، وكأن الدين هو الذي يجب أن يتغير للواقع وليس العكس ولو طبقنا هذا على كثير من الأحكام الشرعية لضاع الإسلام ولم يبق منه إلا اسمه .

وتختلف أهداف هؤلاء الطاعنين في رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ ؛ فبعضهم يهدف إلى إبطال شبهات المستشرقين حول النبي ρ فقط ، ويأتي على رأسهم الأستاذ / العقاد – رحمه ا – في كتابه (الصديقة بنت الصديق) حيث يقول بعد أن رجح أن السيدة عائشة كانت ما بين الثانية عشرة والخامسة عشرة عند الزواج : " ذلك هو التقدير الراجح الذي ينفي ما تقوله المستشرقون على النبي بصدد زواجه بعائشة في سن الطفولة الباكرة ، وكل تقدير غير ذلك فهو تقدير مرجوح . "([1])

وبعضهم يدفعه إلى ذلك تنقية التراث والتاريخ الإسلامي مما يسميها (أباطيل وخرافات لايقبلها العقل) ، ويأتي على رأس هؤلاء المؤرخ الدكتور/ حسين مؤنس في كتابه (تنقية أصول التاريخ الإسلامي) حيث يقول : " لقد أثبتنا نحن - جماعة من مؤرخي الإسلام – أن عائشة عندما تزوجت رسول ا كان عمرها تسعة عشر عاما ، وهذا هو المعقول المقبول . "[2] ، وتبعه والدكتور/ إبراهيم علي شعوط في كتابه (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ).وبعضهم يهدف إلى سن قوانين ، ووضع عقوبات لتزويج القاصرات ، ويأتي

---

[1]- ص 49 ط/ نهضة مصر ط / رابعة 2005م

[2] - تنقية أصول التاريخ الإسلامي للمؤلف ص 5 – 6 ط/ دار الرشاد بالقاهرة ط/ الأولى 1997م .

على رأس هؤلاء الدكتورة / سهيلة زين العابدين حماد – عضو جمعية حقوق الإنسان السعودية- في عـدة مقالات نشرتها في صحيفة (المدينة السعودية([1])

وبعضهم يظن بذلك أنه ينتصر للسيدة عائشة ، ويبين الحقيقة التي غابت عن المسلمين طوال هذه القـرون ، ويأتي على رأس هؤلاء الدكتور / عبد المنعم الحفني في موسوعته " أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر "([2]) ، والدكتورة / جواهر سرور باسلوم في رسالتها في الماجستير بعنوان " دراسة لحياة أم المؤمنين عائشة على ضوء الكتاب والسنة"([3])، وبعض الدعاة الذين انساقوا وراء هؤلاء .

وأخيراً تهدف قلة من هؤلاء الباحثين إلى الطعن في كتب التراث عامة والصحيحين خاصة من خـلال رد رواية عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ ، ويمثل هؤلاء الصحفي / إسلام بحيـري([4]) ، ومـن أيـده وافتخر به من التيار العلماني في مصر . حيث نشر هذا الصحفي مقالاً مطولاً في (جريـدة اليـوم الـسابع الاليكترونية)([5]) عبارة عن دراسة تاريخية حديثية ادعى فيها أن عمر السيدة عائشة عندما تزوجها النبي ρ كان ثمانية عشر عاماً ، ثم عقب في آخر هذه الدراسة قائلاً : " فلا يجب أن نجل البخاري ومسلم أكثر ممـا نجل الرسول الكريم ، فلنا أن نقبل ما رفضوه ، وأن نرفض ما قبلوه ، فالإسلام ليس حكـرا علـى الفقهـاء والمحدثين ولا على زمانهم فقط ، لذا فإننا نستطيع وبكل أريحية أن نستدرك على كل كتب الحـديث والفقـه والسيرة والتفسير ، وأن ننقدها ونرفض الكثير مما جاء بها من أوهام وخرافات لا تنتهي ، فهذه الكتب فـي النهاية محض تراث بشري لا يجب ولا ينبغي أن يصبغ بالقدسية أو الإلهية أبدا ، فنحن وأهل التـراث فـي البشرية على درجة سواء ، لا يفضل أحدنا الآخر ، فصواب أعمالهم لأنفسهم والأخطاء تقع علينا. **)**

ومما لاشك فيه أن كل هؤلاء جميعاً لكي يصلوا إلى تحقيق أهدافهم قاموا بجمع شـبهات حـول روايـة الصحيحين ، واعتبروا هذه الشبهات أدلة تهدم وتطعن في رواية الصحيحين وكتب السنة جميعاً في كون عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ تسعة أعوام وبضعة أشهر .

وقد تتبعت هذه الشبهات التي ذكروها جميعا فبلغت ثلاث عشرة شبهة سأعرضها – بمشيئة ا تعـالى - واحدة تلو الأخرى دون التركيز على قائليها لأنهم جميعاً ينقلونها عن بعضهم البعض ، وبعضهم يضيف على من سبقه شبهة أو اثنتين ...وهكذا ، وسوف أرد على الشبهة بعدها مباشرة لكي يقف القارئ علـى إبطـال شبهاتهم شبهة بعد الأخرى فينجلي الحق ، وينبلج الصبح لذي عينين ، وذلك على النحو التالي :

---

[1] - صحيفة المدينة السعودية بتاريخ 2010/3/2م- و 3/9/ 2010م

[2] - ص 115 – 116 ط/ مكتبة مدبولي بالقاهرة ط / أولى 2003م .

[3] - ص 30 وما بعدها والرسالة بجامعة أم القرى – كلية الشريعة – الدراسات العليا الشرعية 1402هـ -

[4] إسلام بحيري : صحفي شاب حاصل على الماجستير من بريطانيا في تجديد مناهج الفكر الإسلامي ، ويعمل رئيس مركز الدراسات الإسلامية بجريدة اليوم السابع الالكترونية www.facebook.com

[5] - جريدة اليوم السابع الخميس 2008/10/16م

الشبهة الأولى : قول السيدة عائشة " لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين "

من الشبهات التي يستند إليها هؤلاء الرافضون لرواية الصحيحين ما أخرجه البخاري نفسه في باب (جوار أبي بكر في عهد النبي) أن السيدة عائشة قالت : « لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله طرفي النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا قِبَلَ الحبـشة ....الحديث »([1])

واستدلالهم على هذا النحو : السيدة عائشة تقول : إنها لم تعقل أبويها إلا وهما يدينان الدين ، وذلك قبـل هجرة الحبشة كما ذكرت ، وتقول إن النبي ρ كان يأتي بيتهم كل يوم ، وهو ما يبين أنها كانت عاقلة لهـذه الزيارات ، والمؤكد أن هجرة الحبشة - إجماعا بين كتب التاريخ - كانت في العام الخامس من بدء البعثـة النبوية فلو صدقنا رواية الإمام البخاري أن عائشة ولدت في العام الرابع من بدء الدعوة ، فهذا يعنـي أنهـا كانت رضيعة عند هجرة الحبشة ، فكيف يتفق ذلك مع جملة (لم أعقل أبـوي) ، وكلمـة أعقـل لا تحتـاج توضيحا .

والرد على هذه الشبهة على هذا النحو :

1- الهجرة إلى الحبشة حدثت مرتين – كما هو معلوم من كتب السيرة – المرة الأولى في بداية الـسنة الخامسة من البعثة عند اشتداد الإيذاء على النبي ρ والصحابة في مكة ، ثم عاد المهاجرون الأوائل – وكـان عددهم قليلاً - إلى مكة بعد إسلام حمزة وعمر – رضي الله عنهما - ، فلما أعلنت قريش مقاطعة النبـي ρ وبني هاشم ومن آمن ، ودخلوا جميعا في شعب أبي طالب خرج الصحابة مرة ثانية إلى الحبشة، وذلـك مـا بين العام السادس والتاسع من البعثة ، وعددهم اثنان وثمانون رجلا وثماني عشرة امـرأة ، وهـذه الهجـرة الثانية للحبشة .([2])

والسؤال هنا متى خرج أبو بكر مهاجراً إلى الحبشة ؟

والإجابة على ذلك من خلال كتب السيرة أنه خرج بعد الهجرة الثانية في أواخر السنوات الثلاث للمقاطعة الظالمة من قريش للنبي ρ والمؤمنين وبني هاشم ، أي في أواخر السنة الثامنة وأوائل السنة التاسعة .

والدليل على ذلك : أن ابن إسحاق في السيرة ذكر عقب خروج أبي بكر وفاة أبي طالب ، ووفـاة أبـي طالب كانت في السنة التاسعة من البعثة المعروفة بعام الحزن عند كتاب السيرة والتاريخ .([3])

وذكر السهيلي والشامي خبر نقض صحيفة المقاطعة عقب خروج أبي بكر ، ونقض الصحيفة كـان فـي العام التاسع من البعثة ([4])، وهو يؤيد ما ذكرناه .

---

[1] - صحيح البخاري ك/ الكفالة ب/ جوار أبي بكر في عهد النبي ρ وعقده 3 / 96 ح / 2297 .

[2] انظر / الروض الأنف للسهيلي 228/3 ط/ دار الفكر بيروت 1989م - وطبقات ابن سعد 1 /207 ط/ دار صادر بيروت د.ت

[3] - سيرة ابن هشام 2 /219 ط/ دار الجيل بيروت 1411هـ

[4] - الروض الأنف للسهيلي 2 /158 – السيرة الشامية 413/2 ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة 1997م .

وجزم بهذا صاحب السيرة الحلبية فقال : (ومما أوذى به أبو بكر الصديق τ ما روى عن عائشة رضـي ا تعالى عنها قالت : لما ابتلى المسلمون بأذى المشركين أي وحصروا بني هاشم والمطلب في شعب أبـي طالب ، وأذن ρ لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة ، وهي الهجرة الثانية خرج أبو بكر τ مهاجرا نحو أرض الحبشة .)([1])

وقال الإمام ابن كثير عن زمن خروج أبي بكر : (كل هذه القصص ذكرها ابن إسحق معترضا بها بـين تعاقد قريش على بنى هاشم وبنى المطلب ، وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة ، وحصرهم إياهم في الشعب ، وبين نقض الصحيفة وما كان من أمرها، وهى أمور مناسبة لهذا الوقت ، ..)([2])

نستنتج من هذا أن معظم كتب السيرة تؤكد خروج أبي بكر بعد الهجرة الثانية إلى الحبشة ، وفي أواخـر سنين المقاطعة الظالمة أي في السنة الثامنة أو التاسعة ، ومن ثم تكون السيدة عائشة في ذلـك الوقـت فـي الرابعة أو الخامسة من عمرها ، وهذا يتناسب تماماً مع حديثها في صحيح البخاري وقولها " لم أعقل أبـوي قط إلا وهما يدينان الدين " ، ويتناسب مع كونها متذكرة للزيارات التي كانت يأتي فيها رسـول ا ρ إلـى بيتهم غدوة وعشياً ، خاصة إذا علمنا أنها تفوق أقرانها في حدة الذكاء ، وقوة الذاكرة ، وصفاء الذهن .

2- قول السيدة عائشة " لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين " يؤيد أنها ولدت بعد البعثة وليس قبلهـا ، لأن معناها أنها فتحت عينيها على الحياة فوجدت أبويها مسلمين ، أما كونها ولدت قبل البعثة بأربع سنوات – كما يزعم هؤلاء – فهذا يتنافى مع هذه الجملة لأن معنى ذلك أنها أدركتهما على الشرك .

3- رواية السيدة عائشة لحديث خروج أبي بكر مهاجراً نحو الحبشة ، وأمثاله من الأحاديـث كحـديث الهجرة وحديث بدء الوحي مما يسميه علماء الحديث (مرسل الصحابي) أي مما سمعته من أبيها أو أمها أو أحد من الصحابة فروته عنهم ، وكون هذا الصحابي الذي روت عنه غير معلوم لا يـضر ؛ لأن الـصحابة كلهم عدول في النقل عن رسول ا ρ كما هو مقطوع به في القرآن والسنة .

يقول ابن الصلاح في مقدمته : ثم إنا لم نعد في أنواع المرسل ونحوه ما يسمى في أصول الفقه : مرسل الصحابي مثل ما يرويه (ابن عباس) وغيره من أحداث الصحابة عن رسول ا ρ ، ولم يسمعوه منه ؛ لأن ذلك في حكم الموصول المسند لأن روايتهم عن الصحابة ، والجهالة بالصحابي غير قادحة ؛ لأن الـصحابة كلهم عدول."([3])

الشبهة الثانية : كنت جارية ألعب عند نزول سورة القمر .

يحاول هؤلاء أن ينقضوا رواية الصحيحين بما أخرجه البخاري – أيضاً- في (باب - قوله: بل الـساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) عن (عائشة) قالت: «لقد أنزل على محمد بمكة ، وإني جاريـة ألعـب [بـل

[1] - السيرة الحلبية 484/1 ط/ دار المعرفة بيروت 1400هـ

[2] - السيرة النبوية 2/ 66 – 67 مرجع سابق .

[3] - مقدمة ابن الصلاح - (1 / 31) ط / مكتبة الفارابي الطبعة : الأولى 1984 م

الساعةُ موعِدهم والساعةُ أدهى وأمر]»([1]) ويقولون : " المعلوم بلا خلاف أن سورة (القمر) نزلت بعد أربـع سنوات من بدء الوحي ، فلو صدقنا رواية البخاري تكون (عائشة) إما أنها لم تولد أو أنها رضـيعة حديثـة الولادة عند نزول السورة ، ولكن (عائشة) تقول (كنت جارية ألعب) أي أنها طفلة تلعب ، فكيف تكـون لـم تولد بعد ؟

الرد على هذه الشبهة :

بنيت هذا الشبهة على أن نزول سورة القمر كان في العام الرابع من البعثة ، وأوهم مدعيها القارئ بـأن هذا الأمر من الأمور المسلمة الذي ليس فيها خلاف ، ولا أدري من أين أتى هؤلاء بهذا المعلوم الذي لـيس فيه خلاف ! ، ولكي تقف – أخي القارئ – على افترائهم في هذا أقول لك الآتي :

1 – عند الرجوع إلى كتب التفسير وأسباب النزول نرى أن جمهور المفسرين مجموعون علـى نـزول سورة القمر بأكملها([2]) بمكة دون تحديد لأي عام نزلت فيه خلال الفترة المكية .

قال صاحب الدر المنثور : " مكية وآياتها خمس وخمسون . أخرج النحاس عن ابن عباس قال : نزلـت سورة القمر بمكة . وأخرج ابن الضريس وابن مردوية والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قـال : نزلـت بمكة سورة اقتربت الساعة . وأخرج ابن مردوية عن ابن الزبير مثله ."([3])

1- ذكر المفسرون بعض روايات في سبب نزول سورة القمر تشير إلى أن هذه المعجزة كانـت قبـل الهجرة من هذه الروايات ما ذكره الإمام مجاهد عن أبي معمر عن أبي مسعود قال : رأيـت القمـر منـشقاً شقتين بمكة قبل مخرج النبي ρ إلى المدينة ، شقة على أبي قبيس ، وشقة على السويداء فقالوا : سحر القمر ، فنزلت(اقْتَربتِ الساعةُ وانشَقَ الْقَمر) ([4]).

وما رواه الإمام الطبري – بسنده – عن عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: { اقْتَربتِ الـساعةُ وانْشَق الْقَمر . وإِن يروا آيةً يعرضوا ويقُولُوا سِحر مستَمِر } قال: قد مضى ذلك، كان قبل الهجـرة، انـشق القمر حتى رأوا شقيه. وروى العوفي، عن ابن عباس نحو هذا."([5])

2- قطع الشيخ / سيد طنطاوي – رحمه ا - في تفسيره بأن نزول سورة القمر كـان قبـل الهجـرة بخمس سنين أي في العام الثامن من البعثة .

---

[1] - صحيح البخاري ك/ التفسير ب/ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر 6 / 144 ح/ 4876 .

[2] - شذ عن هذا الإجماع مقاتل بن سليمان وتبعه الزمخشري حيث استثنيا منها الآية رقم (45) في رواية ، وفي رواية ثلاث آيات (44- 45 – 46) فقالا : نزلت يوم بدر ، والصحيح رأي الجمهور لأن الرسول ρ أعاد قراءتها يوم بدر { انظر التحرير والتنوير 27 /165 ط / دار سحنون للنشر والتوزيع تونس 1997 م - الكشاف للزمخشري 651/5 ط / مكتبة العبيكان ط أولى 1998م

[3] الدر المنثور للإمام السيوطي 669/7 ط/ مركز هجر للبحوث والدراسات العربية و الإسلامية ط/ أولى 2003م .

[4] - تفسير الماوردي 409/5 ط/ دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان بدون تاريخ

[5] - تفسير الطبري 22 / 569 ط/ مؤسسة الرسالة ط : الأولى 1420 هـ - 2000 م

فقال : " وكان ذلك بمكة قبل هجرته ρ بنحو خمس سنين ، وقد رأى هذا الانشقاق كثير من الناس . "([1])

وهذا يؤيد رواية السيدة عائشة في صحيح البخاري أنها كانت جارية تلعب عند نـزول الـسورة ؛ لأن عمرها سيكون حينئذٍ أربع سنوات .

3- عند الرجوع إلى كتب السيرة التي روت معجزة انشقاق القمر لا نرى إجماعاً بينها على زمن هـذه المعجزة العظيمة في المرحلة المكية للدعوة ، فالإمام ابن كثير في سيرته يجعلهـا بعـد معجـزة الإسـراء والمعراج أي في العام التاسع من البعثة بعد خروج النبي ρ من شعب أبي طالـب بعـد انتهـاء المقاطعـة الظالمة.([2]) . وهذا يؤكد ما ذكرته السيدة عائشة في رواية الإمام البخاري أنها كانت جارية تلعب عند نزول السورة ؛ لأنها ستكون في الخامسة من عمرها .

من خلال هذه الأدلة يتأكد أن نزول سورة القمر لم يجمع العلماء على كونه في العام الرابع من البعثة بـل قصارى القول هناك بعض كتب السيرة ذكرت ذلك قبل الهجرة إلى الحبشة ، وخالفتها بعض الكتب الأخـرى كسيرة ابن كثير ، وهو ما أميل إليه لأن القرآن الكريم ذكر تعنت الكافرين وطلبهم الآيات في أواخر سـورة الإسراء :

قال – تعالى - : " وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّـةٌ مِّـن نَّخِيـلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِـيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً [الإسراء : 90-93] وهو ما يشير إلى أن معجزة انشقاق القمر كانت بعـد رحلـة الإسراء والمعراج .

ومن ثم تتوافق روايات الصحيحين بعضها مع بعض ؛ لأن السيدة عائشة كانت في الرابعة أو الخامسة من عمرها وهي جارية تلعب عند نزول سورة القمر في العام الثامن أو التاسع من البعثة ، وتكون عنـدما عقـد النبي عليها في العام العاشر أو الحادي عشر من البعثة قد جاوزت السادسة ودخلت في السابعة من عمرها ، ويكون الرسول ρ قد بنى بها في العام الأول من الهجرة وهي قد جاوزت التاسعة بقليل .

الشبهة الثالثة : اشتراك السيدة عائشة في غزوة أحد .

من الشبهات التي يثيرها هؤلاء الرافضون لرواية الصحيحين في سن السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من اشتراك السيدة عائشة في غزوة أحد

عن أنس τ قال : " لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ρ قال : ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكـر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقزان القرب ، وقال غيره تنقلان القرب على متونهما ، ثم تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم. "([3])

---

[1] - الوسيط 1/ 4019

[2] - السيرة النبوية 2 /113 مرجع سابق .

[3] -- صحيح البخاري (4 / 33) – وهذا لفظه – صحيح مسلم 3/ 1443

في حين أن النبي ρ - كما ذكر البخاري ومسلم أيضاً - رد من الصحابة ممن كان في مثل سـنها ، أو أكبر منها مثل عبد ا بن عمر ورافع بن خديج وغيرهما من صغار الصحابة .

عن نافع عن بن عمر قال " عرضني رسول ا ρ يوم أحد في القتال ، وأنا بن أربع عشرة سـنة ، فلـم يجزني وعرضني يوم الخندق وأنا بن خمس عشرة سنة فأجازني . "([1])

وقالوا : هذا دليل على كونها عند عزوة أحد في الخامسة عشرة من عمرها ، وغزوة أحد كانت في العام الثالث للهجرة أي بعد دخول النبي ρ بها بعامين . ومن ثم تكون عند زواجها بالنبي ρ في العام الثالث عشر من عمرها ، وليس العام التاسع أو العاشر كما في الصحيحين .

ويأتي الرد على هذه الشبهة من خلال ما يلي :

1- لم يكن اشتراك السيدة عائشة في غزوة أحد من أجل أن تقاتل مع المقاتلة ، وإنما خرجت مع النبي ρ من أجل سقيا الماء للجيش ، -كما في الحديث الأول الذي استدل به هؤلاء- ، وقد رد النبي ρ من رد من صغار الصحابة من أجل اشتراكهم في القتال ، كما هو واضح من حديث ابن عمـر الـسابق :(عرضـني رسول ا ρ يوم أحد في القتال) ، فالعبرة ليست فقط بالبلوغ عند الإجازة والرد في المعركة ، وإنما بالعمل المكلف به من يخرج ، ومما يؤكد ذلك أذن النبي ρ لبعض الصغار في الخروج للغزوات من أجـل أعمـال مساندة للقتال كإذنه لحارثة بن سراقة – وكان غلاماً صغيراً-بالخروج يوم بدر لأجل النظارة ([2]) .

2- إن رد النبي ρ لعبد ا بن عمر وأمثاله عن غزوة أحد من أجل كونهم لم يبلغوا الحلم بعد ، وليس من أجل السن بدليل قول عبد ا بن عمر في رواية " ولم يرني بلغت "([3]) . أما السيدة عائشة فقـد كانـت بالغة عند زواجها بالنبي ρ ، ومن ثم خرجت بعد زواجها بسنتين في هذه الغزوة كما خرجت غيرهـا مـن النساء البالغات.

الشبهة الرابعة : رواية السيدة عائشة أحاديث لم تعاصرها .

يدعي هؤلاء المشككون في رواية الصحيحين : " أن هناك تناقضاً بين هذه الرواية وبين روايـة الـسيدة عائشة لأحاديث كثيرة في الصحيحين لم تعاصرها . بل لم تكن موجودة على ظهر الأرض حـين حـدوثها كروايتها حديث صعود النبي ρ على جبل الصفا ودعوته المشركين للإسلام في بدايـة الـدعوة الجهريـة ، وحديث بدء نزول الوحي على النبي ρ في غار حراء ... وغيرها من الأحاديث ."

والرد على هذه الشبهة سهل ميسور وذلك من خلال الآتي :

---

[1] - صحيح مسلم 3 / 1490ح /1868– صحيح اليخاري 3 / 177 ح / 2664 .

[2] - صحيح البخاري 20/4 ح /2809 .

[3] - صحيح ابن حبان ج11 ص 30 -31 ح/ 4728 وقال المحقق : إسناده صحيح على شرط الشيخين ط / مؤسسة الرسالة – بيروت ط /ثانية 1993تحقيق : شعيب الأرنؤوط

1- إن هذا النوع من الأحاديث التي يستشهدون بها على أن السيدة عائشة ولدت قبل البعثة هـو ممـا يسميه العلماء بمرسل الصحابي ، ومعناه : أن يروي الصحابي عن صحابي آخـر حـديثاً دون أن يـذكر الصحابي الذي روى عنه .

وعن معناه وحكمه يقول الإمام النووي : " وأما مرسل الصحابي : وهو روايته ما لم يدركه ، أو يحضره كقول عائشة -رضي ا عنها- : أول ما بدىء به رسول ا ρ من الـوحي الرؤيـا الـصالحة . فمـذهب الشافعي والجماهير : أنه يحتج به . وقال الأستاذ الإمام أبو إسحاق الاسفراينى الشافعي : لا يحتج بـه إلا أن يقول انه لا يروى إلا عن صحابي . والصواب الاول ."([1])

قال الحافظ أبو علي الغساني : " ليس يعد مرسل الصحابي مرسلا (أي : لا يأخذ حكم المرسل) ، فقد كان يأخذ بعضهم عن بعض ، ويروي بعضهم عن بعض ، وقال كان لعمر بن الخطاب جار من الأنصار يتناوب معه النزول إلى رسول ا ρ ينزل هو يوما والآخر يوما قال : فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الـوحي وغيره ، وقال البراء " ما كل ما نحدثكم به عن رسول ا ρ سمعناه من رسـول ا ρ ، ولكـن سـمعناه وحدثنا أصحابنا ، وكنا لا نكذب "([2])

2- إن السيدة عائشة ليست وحدها التي روت مثل هذه الأحاديث عن الصحابة ، ورفعتها للنبي ρ دون ذكر من روت عنه فهناك عبد ا بن عباس τ وقد كان صغيرا حين وفاة النبي ρ ، ومع ذلك روى أحاديـث كثيرة لم يدركها ، وأيضاً أبو هريرة τ وقد أسلم في فتح خيبر في العام السابع من الهجـرة وروى أحاديـث كثيرة من هذا النوع ، وكذلك أنس بن مالك وعبد ا بن عمر وغيرهما من صغار الصحابة .

الشبهة الخامسة : إذن البكر ، وكيف يخالف قوله فعله ؟

قال المدعون برد رواية الصحيحين في معرض شبهاتهم التي يستندون إليها : " أخرج البخـاري : فـي كتاب النكاح باب/ لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها) قال رسول ا ρ : «لا تنكح البكر حتـى تستأذن ، قالوا يا رسول ا : وكيف إذنها ؟ قال: أن تسكت» فكيف يقول الرسول الكريم هذا ويفعل عكـسه ؟.

فالحديث الذي أورده البخاري عن سن أم المؤمنين عند زواجها ينسب إليها أنها قالت كنت ألعب بالبنـات (بالعرائس) ، ولم يسألها أحد عن إذنها في الزواج من النبي ρ ؟، وكيف يسألها وهي طفلة صغيرة جـداً لا تعي معنى الزواج ، وحتى موافقتها في هذه السن لا تنتج أثرا شرعيا لأنها موافقة من غير مكاف.

ثم يشنع بعضهم على استنباط الفقهاء من زواج النبي ρ بالسيدة عائشة – رضي ا عنها – الحكم بجواز تزويج الأب لابنته الصغيرة قبل الدخول فيقولون : " أما أبتناء الفقهاء والمحدثين وأولهم البخاري على هـذا

---

[1] - شرح النووي على مسلم - (1 / 30) ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت ط/ الثانية ، 1392هـ

[2] - النكت على مقدمة ابن الصلاح - الزركشي - (1 / 503) ط/ أضواء السلف بالرياض ط/ الأولى 1419هـ - 1998م

الحديث (أي على حديث زواج النبي بالسيدة عائشة) أوهاما من الأحكام عن جواز تزويج الصغيرات ، فهذه صفحة سوداء من صفحات التراث . "([1])

ومن يقول بهذا لا يطعن في الصحيحين فقط . بل يطعن في جميع الفقهاء والمحدثين على مر العصور ، وهذا مما يدفعنا لأن نطيل معهم قليلا في دحض هذه الشبهة على النحو التالي :

الرد على هذه الشبهة :

لم يخالف قول النبي ρ فعله كما يدعي هؤلاء المدعون وذلك لعدة أمور :

1- البكر التي تستأذن في الحديث المذكور هي البكر البالغة ، إذ لا معنى لاستئذان من لا تدري ما الإذن ، ومن يستوي سكوتها وسخطها ، وهي الصغيرة – كما ذكر الإمام ابن حجر-([2])

قال أبو قرة سألت مالكا عن قوله ρ (والبكر تستأذن في نفسها) أيصيب هذا القول الأب ؟ قال : لا لم يعن الأب بهذا إنما عنى به غير الأب ، قال ونكاح الأب جائز على الصغار من ولده ذكرا كان أو أنثى ، ولا خيار لواحد منهم قبل البلوغ . قال ولا ينكح الصغيرة أحد من الأولياء غير الأب .([3])

وقال الإمام ابن حزم لبيان اتفاق قول النبي ρ مع فعله :

" فإن قال قائل: فإن هذا فعل منه ρ وليس قولا ، فمن أين خصصتم البكر دون الثيب ، والصغيرة دون الكبيرة، وليس هذا من أصولكم قلنا : نعم، إنما اقتصرنا على الصغيرة البكر للخبر الذي رويناه من طريق مسلم ، عن ابن عباس أن النبي ρ قال : " الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر يستأذنها أبوها في نفسها وإذنها صماتها " . فخرجت الثيب صغيرة كانت أو كبيرة بعموم هذا الخبر ، وخرجت البكر البالغ به أيضا ، لأن الاستئذان لا يكون إلا للبالغ العاقل للأثر الثابت ، عن النبي ρ : " رفع القلم، عن ثلاث : فذكر فيهم الصغير حتى يبلغ " ، فخرج البكر التي لا أب لها بالنص المذكور أيضا ، فلم تبق إلا الصغيرة البكر ذات الأب فقط ([4])".

2- ذكر الإمام البخاري قبل هذا الباب ببابين : " باب إنكاح الرجل ولده الصغار " ليدل على أن الصغير والصغيرة بالنسبة للأب لهما حكم خاص ، وهو جواز أن يزوجهما قبل البلوغ ، وذلك لما للأب من شفقة ظاهرة على أولاده دون غيره من الأولياء .

3- إن هذا الحكم لم يستنبطه الفقهاء والمحدثون من رواية الصحيحين لزواج النبي ρ بالسيدة عائشة فقط ، وإنما استنبطوه – أيضاً – من عموم قوله تعالى في القرآن الكريم : " واللائِي يئِسن مِن الْمحِيضِ مِن نسائِكُم إِن ارتَبتُم فَعِدتُهن ثَلَاثَةُ أَشْهرٍ واللائِي لَم يحِضن .....[الطلاق : 4] ، ولذا صدر الإمام البخاري الباب

---

[1] - هذا كلام الصحفي / إسلام بحيري في جريدة اليوم السابع الخميس 2008/10/16م

[2] فتح الباري 9 /193 ط/ دار المعرفة - بيروت 1379 هـ

[3] - الاستذكار 5/400-401 ط/ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى 1421هـ - 2000م

[4] - المحلى 9 / 460 ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بدون تاريخ.

السابق في صحيحه بالآية الكريمة فقال : إنكاح الرجل ولده الصغار لقوله : (واللائِى لَمْ يحِضن) [الطلاق : 4] ، فَجعلَ عِدتَها ثَلاثَةَ أَشْهرٍ قَبلَ الْبلُوغِ.

وعلق المهلب على ترجمة البخاري قائلاً : أجمع العلماء على أنه يجوز للأب تزويج ابنته الصغيرة التى لا يوطأ مثلها لعموم الآية : (واللائى لم يحضن)[الطلاق4].([1])

4- إن الحكم بجواز أن يزوج الأب ابنته الصغيرة قبل البلوغ مما أجمع عليـه العلمـاء ، وقـد نقـل الإجماع على ذلك عدد كبير من أهل العلم حتى قال الإمام النووي " هو مما أجمع عليه المسلمون "([2])

5- أن تزويج الآباء لبناتهم الصغيرات يعود إلى حكمة جليلة وهي : " أن الكفء عزيز وجوده ، وقـد يكون هناك حاجة ماسة للصغيرة تقتضي تزويجها في وقت من الأوقات ، كأن تكون فـي زمـان أو مكـان كثرت فيه الفتن ، أو يكون والدها فقيرا معدما ، أو عاجزا عن الكسب ، أو عن رعاية أسرته لأي سبب مـن الأسباب ، فتحتاج الصغيرة إلى من يحفظها ويصونها وينفق عليها ، أو لدى أبيها مال كثير وقـد نـزل بـه مرض الموت فيريد أن يحفظ ابنته ، ويحفظ مالها بأن يختار لها الكفء التقي .

ولذلك فإنه من المصلحة للصغيرة أن يعطى من لديه الحرص على مصلحتها والشفقة عليها كأبيها الحـق في تزويجها من يرى أن مصلحتها في الزواج منه ، وعدم تضييع وتفويت الكفء الذي لا يوجـد فـي كـل وقت، والذي يحصل لها غالبا بزواجها منه مصالح كثيرة في حاضرها ومستقبلها في دينها ومعيشتها وغيـر ذلك.

ومن ثم فإنه يجب على الأب أن يتقي ا Ψ ، وأن يقوم بهذه الأمانة التي حمله ا إياها خير قيـام ، وأن يكون هدفه عند تزويج ابنته الصغيرة مراعاة مصالحها هي ، وليست مصلحته هو لتتحقـق هـذه المـصالح الكثيرة . "([3])

6- إن ما يثيره البعض حول هذا الحكم من كيفية زواج الصغيرة والدخول بها ؟ يعود إلى الجهل بالأحكام الشرعية ؛ فالعلماء لم يجيزوا الدخول بالصغيرة حال صغرها ، بل اشترطوا أن تصل إلى حد تطيـق فيـه النكاح ، واستدلوا على هذا ببناء النبي ρ بالسيدة عائشة بعد ثلاث سنوات من العقد عليها

قال ابن بطال – رحمه ا - : " إلا أنه لا يجوز لأزواجهن البناء بهن إلا إذا صلحن للـوطء واحـتملن الرجال ، وأحوالهن تختلف فى ذلك على قدر خلقهن وطاقتهن ، وكانت عائشة حين تزوج بها النبى ρ بنـت ست سنين ، وبنى بها بنت تسع . "([4])

---

[1] شرح ابن بطال 247/7 ط/ مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - 1423هـ - 2003م الطبعة : الثانية

[2] - حكى إجماع العلماء ابن المنذر في الإجماع ص 103 ط / مكتبة الفرقان بعجمان ط/ أولى 1999م ، والنووي في شرح صحيح مسلم 9 \ 206 ، والحافظ ابن حجر في فتح الباري 12 \ 319 وغيرهم الكثير والكثير .

[3] - ولاية تزويج الصغيرة د / عبد ا بن عبد العزيز الجبرين 258/33 بحث منشور ضمن مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية

[4] - شرح ابن بطال 172/7- 173 مرجع سابق .

وقد جعل الإمام أحمد – رحمه ا - حد الدخول بالصغيرة تسع سنين ، والصحيح ما عليه الجمهـور أن ذلك يختلف باختلاف أحوالهن .

قال النووي – رحمه ا – " وأما وقت زفاف الصغيرة المزوجة والدخول بها فإن اتفق الـزوج والـولي على شيء لا ضرر فيه على الصغيرة عمل به ، وإن اختلفا فقال أحمد وأبو عبيد تجبر على ذلك بنت تـسع سنين دون غيرها. وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة حد ذلك أن تطيق الجماع ويختلف ذلـك بـاختلافهن ولا يضبط بسن . وهذا هو الصحيح وليس في حديث عائشة تحديد ، ولا المنع من ذلك فيمن أطاقته قبل تـسع ، ولا الإذن فيمن لم تطقه ، وقد بلغت تسعا قال الداودي : وكانت عائشة قد شبت شبابا حسنا رضى ا عنها . "[1]

7- إن إساءة بعض ضعاف النفوس من الآباء استعمال هذا الحق في حـق بنـاتهن لايـدعونا إلـى رد الأحاديث الصحيحة الثابتة ، فإذا انتشرت ظاهرة تزويج الآباء بناتهن قبل البلوغ من غير الكفء النادر فـي بلدٍ ما كان من حق ولي الأمر في هذه البلاد أن يتدخل لتقييد هذا المباح بوضع سن محددة لتزويج البنـات . وهذا علاج ناجع لهذه الظاهرة بدلاً من الطعن في الأحاديث الصحيحة .

الشبهة السادسة : عرض السيدة خولة بنت حكيم السيدة عائشة ليتزوجها رسول ا ρ .

مما استدل به الأستاذ/ العقاد – رحمه ا – على رفع سن السيدة عائشة ، ونقلها عنه من بعده أن خولـة بنت حكيم – رضي ا عنها - عرضت البكر والثيب - المتزوجة سابقا - علـى النبـي ρ فهـل كانـت تعرضهن على سبيل جاهزيتهن للزواج ، أم على أن إحداهما طفلة يجب أن ينتظر النبي ρ بلوغها النكاح .

المؤكد من سياق الحديث أنها تعرضها للزواج الحالي بدليل قولها : (إن شئت بكـرا وإن شـئت ثيبـا) ، ولذلك لا يعقل أن تكون عائشة في ذاك الوقت طفلة في السادسة من عمرها ، وتعرضـها (خولـة) للـزواج بقولها (بكرا).[2]

والرد على هذه الشبهة من عدة وجوه :

(أولها : أن أم المؤمنين لو كان قد اكتمل بلوغها بالفعل لما كان هناك داع إلى تأجيل البناء بهـا إلـى السنة الأولى من الهجرة ، بل لتم الأمر في حينه في مكة كما حدث مع أم المؤمنين سودة ، إذ لا يوجد مـانع من ذلك سوى حداثة سنها .

الوجه الثاني : أنه لا يلزم من وجود الخطبة أو العقد أن يتم البناء على الفور 0 وهـذا مـن الأمـور المتعارف عليها في القديم والحديث، ومن شواهد ذلك : خطبة مطعم بن عدي لها لابنه جبير0إذ إنه لم يتم في أمرها سوى العدة .

الوجه الثالث : الذي يبدو من محاورة خولة لرسول ا ρ أنها أرادت أن تجد مدخلا إلى نفس النبـي ρ للتحدث معه في هذا الشأن الخاص حين هابه الرجال ... فلا مسوغ أن تحمل كلماتها معان لم تقصدها ، وإذا

---

1 - شرح النووي على مسلم 9 / 206 مرجع سابق .

2 - الصديقة بنت الصديق ص 48 – 49 .

كان ولابد من ذكر هذا الخاطر والتعويل عليه بأنه هو الدافع الأساسي ، فقد رشحت خولة – رضي ا عنها – سودة بنت زمعة ، وهي الثيب المجربة الخبيرة بشئون بيت الزوجية لتقوم برعاية بناته ρ ، ولـم تكتـف باقتراح عائشة فحسب حتى يقال : لولا أنها في سن الخطبة والزواج لما ذكرتها .)([1])

الوجه الرابع : لعل السيدة خولة رأت عند السيدة عائشة علامات البلوغ المبكرة فرشحتها للزواج من النبي ρ ، وانتظر النبي ρ هذه السنوات الثلاث لكي يكتمل بلوغها تماماً .

الشبهة السابعة : خطبة جبير بن مطعم للسيدة عائشة قبل الإسلام .

ذكر الأستاذ / العقاد - أيضاً - في أدلته على عدم ترجيح رواية الصحيحين في تقدير سن السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ مسألة خطبتها لجبير بن مطعم ، واستند إلى ذلك من جاء من بعده فقالوا :

(إن السيدة عائشة كانت مخطوبة قبل خطبتها إلى النبي ، وأن خطبة النبي كانت في نحو السنة العاشـرة للدعوة . فإما أن تكون قد خطبت لجبير بن مطعم لأنها بلغت سن الخطبة ، وهي قرابة التاسعة أو العاشرة ، وبعيد جداً أن تنعقد الخطبة على هذا التقدير مع افتراق الدين بين الأسرتين . وإمـا أن تكـون قـد وعـدت لخطيبها وهي وليدة صغيرة كما يتفق _ أحيانا – بين الأسرتين المتآلفة - ، وحينئذ يكون أبو بكر مسلماً عند ذلك ، ويستبعد جدا أن يعد بها فتى على دين الجاهلية قبل أن تتفق الأسرتان على الإسلام ، فإذاً كان أبو بكر قد وعد بها هذا الموعد قبل إسلامه ، معنى ذلك أنها ولدت قبيل الدعوة ، وكانت تناهز العاشرة يـوم جـرى حديث زواجها وخطبها النبي ρ .)([2])

وللرد على هذا الشبهة أقول :

ينبي هذا الكلام على فرضية استحالة وجود مصاهرة بين المسلمين والمشركين في سنوات الدعوة الأولى حين كان المشركون يؤذون المسلمين الأوائل ، وهذه الفرضية ليست صحيحة ومن ثم يتهدم كـل مـا بنـي عليها، والدليل على عدم صحتها ما يلي :

4- تحريم المصاهرة بين المسلمين والمشركين لم يحرم إلا بعد الهجرة بسنوات عنـدما نزلـت سـورة الممتحنة .

يقول الإمام ابن العربي : " قوله " ولا تمسكوا بعصم الكوافر " قال أهل التفسير : أمر ا Y من كان لـه زوجة مشركة أن يطلقها ، وقد كان الكفار يتزوجون المسلمات ، والمسلمون يتزوجون المشركات ، ثم نـسخ ا ذلك في هذه الآية وغيرها .... فطلق عمر بن الخطاب τ حينئذ قريبة بنت أمية ، وابنة جرول الخزاعـي .)([3])

---

[1] - أم المؤمنين السيدة عائشة ومروياتها في التفسير ص 29 – 30 بتصرف رسالة ماجستير للباحث / محمود سليمان علي - بقسم الكتاب والسنة – كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القري سنة 1410هـ

[2] - الصديقة بنت الصديق ص 48 – 49 مرجع سابق.

[3] - أحكام القرآن لابن العربي 4/ 231 ط/ دار الكتب العلمية – بيروت . بدون تاريخ .

فعمر بن الخطاب كان إلى وقت نزول الآية متزوجاً من امرأتين من المشركين ، وهو من هو في صلابته في الحق وشدته في تطبيق أحكام الإسلام .

قال الإمام ابن كثير في تفسير آية الممتحنة السابقة (هذه الآية التي حرمت المسلمات على المشركين ، وقد كان جائزاً في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة .)([1])

2 – كان أبو العاص بن الربيع متزوجا بالسيدة زينب بنت رسول ا ، وكان مشركاً ، وهاجرت السيدة زينب بعد بدر ، وأسلم العاص بعد ذلك ، ولم يفرق الرسول بينهما([2]) ، ولم يقل أحد كيف يصاهر الرسول المشركين في مكة . بل كانت ابنتاه السيدة رقية وأم كلثوم قد عقد عليها ابني أبي لهب عتبة وعتيبة لولا أن أباهما أبا لهب أمرهما بطلاقهما . فمن أين القول : إن المصاهرة في ذلك الوقت كانت غير جائزة أو غير معقولة بين المسلمين والمشركين .

من خلال هذين الدليلين يتبين أنه لا صحة البتة لنفي المصاهرة بين المسلمين والمشركين في سنوات الدعوة المكية ، ومن ثم لا دليل على كون السيدة عائشة ولدت قبل البعثة بسبب خطبتها لجبير بن مطعم . بل هذه الخطبة أحد الأدلة على كون السيدة عائشة كانت صالحة للخطبة قبل خطبة النبي ρ لها .

الشبهة الثامنة : مقارنة سن السيدة عائشة بسن السيدة أسماء بنت أبي بكر– رضي ا عنهما –

يدعي هؤلاء لكي يضعفوا رواية الصحيحين : (أن كل المصادر التاريخية([3]) تقول إن (أسماء) كانت تكبر (عائشة) بعشر سنوات ، كما تروي ذات المصادر بلا اختلاف واحد بينها ، أن (أسماء) ولدت قبل الهجرة للمدينة بسبعة وعشرين عاما ، . إذن يتأكد بذلك أن سن (عائشة) كان أربع سنوات مع بدء البعثة النبوية في مكة ، ومؤدى ذلك أن الرسول عندما نكحها في مكة في العام العاشر من بدء البعثة النبوية كان عمرها أربع عشرة سنة ، وأنه بنى بها بعد ثلاث سنوات وبضعة أشهر ، أي في نهاية السنة الأولى من الهجرة وبداية الثانية ، فيصبح عمرها آنذاك ثمانية عشرة سنة كاملة . وهي السن الحقيقية التي تزوج فيها النبي الكريم (عائشة) .

الرد على هذه الشبهة :

ينبني هذا الشبهة على أصل واحد وهو : الفارق بين عمر السيدة عائشة والسيدة أسماء عشر سنين ، ثم يتفرع عنه بعد ذلك حساب تاريخ ميلاد السيدة أسماء قبل الهجرة بسبع وعشرين عاما ، ثم تاريخ وفاتها في سنة ثلاث وسبعين للهجرة ، ثم عقد المقارنة بين عمريهما بناء على القاعدة التي جعلوها من المسلمات

---

[1] تفسير ابن كثير 8 / 93 ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع ط/ ثانية 1999م .

[2] - زواج السيدة زينب – رضي ا عنها- بالعاص بن الربيع ثابت في الصحيحين ، وروى أبو داود في سننه بسنده أن رسول ا ρ ردها عليه بالنكاح الأول ج2 ص253 ح/ 2240 وقال الألباني : صحيح

[3] - هذه العبارة وأمثالها مما يفيد التعميم ليست من أسلوبي ، وإنما هو من أسلوب هؤلاء المشككين خاصة الصحفي / إسلام بحيري

التاريخية وهي العشر سنوات ينتج في النهاية أن عمر السيدة عائشة كان عند الزواج حوالي ثمانيـة عـشر عاماً .

ومن ثم إذا انهدمت القاعدة التي بنو عليها ذلك انهدمت هذا الشبهة من أساسها ، وهاك ما يدل على أن هذا الفارق الزمني ليس من الأشياء المسلمة الثابتة كما يدعون :

أولاً : ذكر كثير من المؤرخين عند الترجمة للسيدة أسماء أنها كانت أسن من السيدة عائشة ، ولم يحـددوا الفارق العمري بينهما من هؤلاء المؤرخين : (وأبو نعيم في معرفة الصحابة – وابن عساكر في تاريخ دمشق – وابن الأثير في أسد الغابة) وهذه بعض النصوص الواردة في هذه الكتب

قال أبو نعيم : (كانت أخت عائشة لأبيها ، وكانت أسن من عائشة .)([1])

وقال ابن عساكر : (كانت أخت عائشة لأبيها وكانت أسن من عائشة ولدت قبل التاريخ(أي قبل الهجرة) بسبع وعشرين سنة)([2])

وقال ابن الأثير : (وكانت أسن من عائشة وهي أختها لأبيها وكان عبد الله بن أبي بكر أخا أسماء شقيقها.)([3])

إذاً هذا الفارق لم يكن محل اتفاق بين المؤرخين –كما يدعون - .

ثانياً : رأي الإمام الذهبي في السير أن الفارق بين عمر السيدة أسماء والسيدة عائشة يـصل إلـى بـضع عشرة سنة فقال عند الترجمة للسيدة أسماء " وكانت أسن من عائشة ببضع عشرة سـنة. "([4]) ، والبـضع – كما هو معلوم - في اللغة من ثلاث إلى تسع ، وبناء على رأي الإمام الذهبي تكون السيدة عائشة تجـاوزت التاسعة عند بناء النبي ρ بها ويكون الفرق العمري بينها وبين السيدة أسماء حوالي ثماني عشرة سنة تقريباً ، وهو ما يتوافق مع الأحاديث الصحيحة

ثالثاً : معظم كتب التاريخ والتراجم التي ذكرت هذا الفارق الزمني بالتحديد(عشر سـنوات) تـستند إلـى رواية واحدة ترجع إلى عبد الرحمن ابن أبي الزناد([5]) ، فماذا يقول علماء الحديث في عبد الرحمن من ناحية الجرح والتعديل

يقول ابن أبي حاتم الرازي وابن حجر العسقلاني عنه : (قال ابن محرز عن يحيى بن معين لـيس ممـن يحتج به أصحاب الحديث ليس بشيء . وقال معاوية بن صالح وغيره وعن ابن معين ضعيف . وقال الدوري

[1] - معرفة الصحابة لأبي نعيم الاصبهاني 398/22 ط/ دار الوطن للنشر بالسعودية ط/ أولى 1998م

[2] - تاريخ دمشق لابن عساكر 69 / 9 ط/ دار الفكر بيروت 1991م

[3]- أسد الغابة لابن الأثير 3 / 309 ط/ دار الفكر بيروت بدون تاريخ .

[4] - سير أعلام النبلاء 2 / 288 ط / مؤسسة الرسالة بيروت -الطبعة التاسعة 1413 هـ 1993 م

[5] - انظر الاستيعاب لابن عبد البر 1 /185ط/ دار الأعلام بالأردن ط/ أولى 2002م

عن ابن معين لا يحتج بحديثه وهو دون الدراوردي . وقال صالح بن أحمد عن أبيه مضطرب الحديث. وقال محمد بن عثمان عن ابن المديني كان عند أصحابنا ضعيفا...وقال النسائي لا يحتج بحديثه .)([1])

فهذا رأي علماء الجرح والتعديل في ابن أبي الزناد فكيف نعتمد على تقديره في الفرق الزمني بين السيدة أسماء والسيدة عائشة ، وإنما ذكرت ذلك لأن هؤلاء الرافضين لرواية الصحيحين يتكلمون في هشام بن عروة في حين أنهم يبنون شبهة من أكبر شبهاتهم على رواية عبد الرحمن أبي الزناد على الرغم ما قاله علماء الجرح والتعديل فيه .!

رابعاً : لم يقطع عبد الرحمن بن أبي الزناد في كون الفارق العمري بين السيدة عائشة والسيدة أسماء عشر سنوات ، والدليل على ذلك ما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده عنه قال : " حدثنا ابن أبي الزناد قال : قالت أسماء بنت أبي بكر وكانت أكبر من عائشة بعشر سنين أو نحوها . "([2])

فكلمة (أو نحوها) توضح أنه غير جازم في هذا التحديد ، وهذا يوهن متن الرواية بالإضافة إلى ضعف سندها لورودها عن عبد الرحمن بن أبي الزناد – كما سبق في النقطة السابقة -

خامساً : هناك اختلاف في تقدير سن السيدة أسماء عند وفاتها ، ولم تجمع جميع المصادر على كونها بلغت مائة سنة

قال الذهبي : "قال ابن أبي الزناد: كانت أكبر من عائشة بعشر سنين. قلت (أي الإمام الذهبي): فعلى هذا يكون عمرها إحدى وتسعين سنة."([3])

وعلى تقدير الإمام الذهبي هذا سيتهدم الشق الثاني التي استندت إليه الشبهة ، وهو أن عمر السيدة أسماء حين الوفاة يصل إلى مائة سنة .

نخلص من هذا أن لدينا رأيين في الفارق بين عمري السيدة عائشة والسيدة أسماء – رضي ا عنهما -، وكلا الرأيين يؤيدان صحة رواية الصحيحين في كون السيدة عائشة كانت في التاسعة من عمرها عندما بنى بها النبي ρ ، ويتضح ذلك من خلال الجدولين الآتيين :

<u>الرأي الأول</u> : أنها كانت أسن من عائشة دون تحديد كما قال أبو نعيم– وابن عساكر – وابن الأثير ، أو بينهما بضع عشرة سنة كما قال الإمام الذهبي

الاسم	ولادتها	عند الهجرة	تاريخ وفاتها	عند الوفاة	الفارق بينهما
السيدة أسماء	قبل البعثة ب14 سنة	27 سنة	73هـ	100 سنة	18 سنة

[1] - تهذيب التهذيب لابن حجر ترجمة رقم 356 ج 156/6- 157- ط/ دار الفكر بيروت ط/ أولى 1984م وكذا الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 5/ 525 }ط/ دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ

[2] - الاستيعاب 1 / 185 مرجع سابق .

[3] - سير أعلام النبلاء 3 / 380 مرجع سابق .

السيدة عائشة	بعد البعثة ب4 سنوات	9 سنوات	58هـ على خلاف	67 سنة	

الرأي الثاني : أن بينهما عشر سنوات على فرض صحة رواية عبد الرحمن ابن أبي الزناد

الاسم	ولادتها	عند الهجرة	تاريخ وفاتها	عند الوفاة	الفارق بينهما
السيدة أسماء	قبل البعثة ب6 سنوات	19 سنة	73هـ	92 سنة	10 سنوات
السيدة عائشة	بعد البعثة ب4 سنوات	9 سنوات	58هـ على خلاف	67 سنة	

الشبهة التاسعة : حساب عمر السيدة عائشة مقارنة بعمر السيدة فاطمة الزهراء – رضي ا عنهما - :

يقولون في تكذيب رواية الصحيحين : (يذكر ابن حجر فى (الإصابة) أن السيدة فاطمة بنت النبي ولدت عام بناء الكعبة، والنبي ρ في الخامسة والثلاثين من عمره ، وأنها أسن – أكبر - من عائشة بخمس سنوات، وعلى هذه الرواية نجد أن (ابن حجر) وهو شارح (البخارى) ، يكذب رواية (البخارى) ضمنيا ؛ لأنه إن كانت (فاطمة) ولدت والنبي في عمر الخامسة والثلاثين ، فهذا يعني أن (عائشة) ولدت والنبي يبلغ الأربعين ، وهو بدء نزول الوحى عليه ، مما يعني أن عمر (عائشة) عند الهجرة كان يساوي عدد سنوات الدعوة الإسلامية في مكة وهي ثلاث عشرة سنة ، وليس تسع سنوات.)

وللرد على هذه الشبهة أقول :

1- من نقل عن الإمام ابن حجر هذه الرواية لم يكن أميناً في نقله ، وإنما أخذ منه ما يحلو له ، وسكت عن الباقي . على طريقة من قرأ " ولا تقربوا الصلاة " وسكت دون أن يكمل الآية ؛ لأنه يعلم علم اليقين أنه لو نقل النص حرفياً لبان خداعه للقارئ ، وإيهامه له بأن وقت ميلاد السيدة فاطمة ليس فيه سوى قول واحد ، مع أن ابن حجر في نفس النص ذكر عدة أقوال في ذلك ، ثم عقب عليها ، وهاك نص ابن حجر لنقف على حقيقة هؤلاء القوم ، وكيف يتعاملون مع النصوص :

يقول الإمام ابن حجر في الإصابة : (واختلف في سنة مولدها ، فروى الواقدي عن طريق أبي جعفر الباقر قال : قال العباس ولدت فاطمة والكعبة تبنى ، والنبي ρ ابن خمس وثلاثين سنة وبهذا جزم المدائني .

ونقل أبو عمر عن عبيد ا بن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ρ . وكان مولدها قبل البعثة بقليل نحو سنة أو أكثر ، وهي أسن من عائشة بنحو خمس سنين .)([1])

فقد ذكر ابن حجر في كلامه قولين للواقدي وأبي عمر ، ثم عقب عليهما برأيه : أنها ولدت قبل المبعث بقليل فكيف يدعون على ابن حجر أنه يكذب رواية الصحيحين ؟؟

2- عند الرجوع إلى كتب التراجم للتحقق من وقت ميلاد السيدة فاطمة سنجد – على سبيل المثال – الإمام الذهبي في السير قال : " مولدها قبل المبعث بقليل "([2]) ، ولم يذكر ابن عبد البر في (الاستيعاب) سوى رواية أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ρ ([3])

فهذه الروايات تؤكد رواية الصحيحين في سن السيدة عائشة حين زواجها من النبي ρ ؛ لأن السيدة فاطمة كانت أكبر منها بخمس سنوات ، وهي مولودة قبيل البعثة ، والسيدة عائشة ولدت بعد البعثة بأربع سنوات ، فتكون السيدة عائشة عند الهجرة تناهز التاسعة من عمرها .

الشبهة العاشرة : السيدة عائشة أسلمت قبل الجهر بالدعوة كما في رواية ابن كثير

ذكر ابن كثير في (البداية والنهاية) عن الذين سبقوا بإسلامهم : «ومن النساء : أسماء بنت أبى بكر وعائشة وهي صغيرة فكان إسلام هؤلاء في ثلاث سنين ورسول ا ρ يدعو في خفية ، ثم أمر ا Y رسوله بإظهار الدعوة »([4])

قالوا : هذه الرواية تدل على أن السيدة عائشة قد أسلمت قبل أن يعلن الرسول الدعوة في عام الرابع من بدء البعثة النبوية ، ومعنى ذلك أنها آمنت على الأقل في العام الثالث ، فلو أن عائشة على حسب رواية (البخاري) ولدت في العام الرابع من بدء الوحى ، فمعنى ذلك أنها لم تكن على ظهر الأرض عند جهر النبي ρ بالدعوة في العام الرابع ، أو أنها كانت رضيعة ، فكيف تكون من الذين أسلموا في ذلك الوقت ؟ إن هذا يناقض رواية الصحيحين .

الرد على هذه الشبهة :

1- الرواية المنسوبة للإمام ابن كثير في البداية والنهاية نقلها عن الإمام محمد ابن إسحاق صاحب السيرة ونص كلام ابن إسحاق : (ثم أسلم ناس من قبائل العرب منهم: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أخو بني عدي بن كعب، وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ، أخت عمر بن الخطاب ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر وهي صغيرة)([5])

---

[1] - الإصابة 54/8 ط/ دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى 1412هـ بتحقيق : علي محمد البجاوي

[2] - سير أعلام النبلاء 2 / 119مرجع سابق .

[3] - الاستيعاب 2 /112 مرجع سابق .

[4] - البداية والنهاية 3/ 49 ط/ دار هجر للنشر والتوزيع بدون تاريخ .

[5] - السيرة النبوية لابن إسحاق 1/ 46 وسيرة ابن هشام 2/ 92 ط/ دار الجيل بيروت سنة1411هـ

وعند الرجوع إلى سيرة ابن إسحاق نجد أن ابن إسحاق لم يذكر سنداً لهذا السرد عن أحد من الـصحابة ، أو التابعين إنما أرسل الكلام من عنده ، ويكفي هذا لتضعيف الرواية المنسوبة لابن إسحاق .

2- لعل ابن إسحاق أو أحد رواة السيرة عنه وهم فذكر اسم السيدة عائشة وهو يسرد أسـماء مـن أسـلم قديماً، والدليل على ذلك ما ذكره صاحب السيرة الشامية تعقيباً على كلام ابن إسحاق السابق حين قال : (قال في الزهر والعيون والدرر: وهو وهم لم تكن عائشة ولدت بعد فكيف تسلم وكان مولدها سنة أربع من النبوة ؟)([1])

3 – قد تكون السيدة عائشة في ذلك الوقت رضيعة في المهد ، وإنما نسب ابن إسـحاق لهـا الإسـلام لإسلام والديها ؛ لأن الطفل في المهد ينشأ على الإسلام ، ولا يغيره عن فطرته سوى والديـه ، وحيـث إن أبويها كانا مسلمين ، وهي صغيرة في المهد ، فبطبيعة الحال ستكون مسلمة على دين والديها .

كما قال رسول ا ρ : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .... الحديث "([2])

4- عند المقارنة العلمية بين رواية الصحيحين في سن السيدة عائشة ، ورواية سيرة ابن إسحاق لو كانت ثابتة بالفعل من حيث قوة المصدرين ، وثبوتهما ، ومكانتهما عند العلماء لا نجد وجهاً للمقارنـة ، وسـنجد جميع العلماء يطرحون رواية سيرة ابن إسحاق لمخالفتها ما ورد في الصحيحين .

الشبهة الحادية عشرة : قول الطبري كل أولاد أبي بكر ولدوا في الجاهلية

يدعون على الإمام الطبري أنه جزم بيقين في كتابه (تاريخ الأمم) أن كل أولاد أبى بكر τ قد ولدوا فـي الجاهلية .وبهذا تكون السيدة عائشة ولدت قبل البعثة فيكون عمرها عند الهجرة ما يزيد على ثلاثـة عـشر عاماً.

الرد على هذه الشبهة :

1- لا أدري هل نسي هؤلاء الذين ينتسبون إلى البحث العلمي أن من شروطه : الأمانة في النقل خاصة عند نسبة الأقوال إلى قائليها - كما قال علماؤنا إذا كنت ناقلاً فالصحة وإن كنت مدعياً فالدليل - .لكنه لـيس النسيان إنما هو التزوير المتعمد ظنا منهم أن أحداً لن يبحث وراءهم .وهذا ما كان مع هذا الكلام المنـسوب للإمام الطبري والطبري منه براء ، وإليك نص الإمام الطبري لتعلم ذلك

قال رحمه ا - تحت عنوان : ذكر أسماء نساء أبي بكر الصديق τ : (حدث علي بن محمد عمن حدثه ومن ذكرت من شيوخه قال : تزوج أبو بكر في الجاهلية قتيلة ووافقه على ذلك الواقدي والكلبي ... فولـدت له عبد ا وأسماء ، وتزوج أيضا في الجاهلية أم رومان ... فولدت له عبدالرحمن وعائـشة فكـل هـؤلاء الأربعة من أولاده ولدوا من زوجتيه اللتين سميناهما في الجاهلية ، وتزوج في الإسلام أسماء بنـت عمـيس

---

[1] سبل الهدى والرشاد 2 / 308 مرجع سابق .

[2] - متفق عليه . صحيح البخاري ك/ الجنائز ب/ إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه... 2 / 95 ح / 1385 صحيح مسلم ك/ القدر ب/ معنى كل مولود يولد على الفطرة 4 / 1066 ح/ 2658 .

وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب ... فولدت له محمد بن أبي بكر ، وتزوج أيضا في ا لإسلام حبيبة بنت خارجة بن زيد ... وكانت نسأ حين توفي أبو بكر فولدت له بعد وفاته جارية سميت أم كلثوم .)[1]

وكما هو واضح من النص أن حديث الإمام الطبري كان يدور حول نساء أبي بكر τ ، وذكر أنه تـزوج امرأتين في الجاهلية ، وامرأتين في الإسلام ، وذكر أولاد الزوجتين اللتين تزوجهما في الجاهليـة وقـال : " هؤلاء الأربعة من أولاده ولدوا من زوجتيه اللتين سميناهما في الجاهلية. " فهل يمكن لعاقل أن يفهم من هذه العبارة أن أولاد أبي بكر ولدوا في الجاهلية .

2- لو فرضنا جدلاً أن كلام الإمام الطبري في عبارته السابقة يوهم ذلك . فكيف يذكر الإمام نفسه فـي نفس النص أولاداً لسيدنا أبي بكر ولدوا في الإسلام وهما محمد وأم كلثوم .

3- ثم انظر إلى هذه الألفاظ المضللة في كلام هؤلاء : " (الطبري) يجزم بيقين في كتابه (تاريخ الأمم) أن كل أولاد (أبى بكر) قد ولدوا في الجاهلية ." هكذا "يجزم بيقين " ، ثم " كل أولاد أبي بكر " فأين اليقـين ؟؟، وأين كل الأولاد ؟؟ ، وقد ولد لسيدنا أبي بكر ثلاثة أولاد في الإسلام هما السيدة عائـشة ، ومحمـد وأم كلثوم .

الشبهة الثانية عشرة : سنة الأنوثة في حب المبالغة في صغر السن .

لجا الأستاذ / العقاد – رحمه ا – ، ومن وافقه في هذا إلى تأويل رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ بأن هذا العمر الذي ذكرته السيدة عائشة هو من قبيل ما تحبه المرأة من الظهور بـين أترابها بصغر سنها ، وسمى ذلك " سنة الأنوثة الخالدة " واعتمد في ذلك على أمرين :

1- أنها لم تكن تعرف سنها الحقيقي لأنه لم يكن مدونا في وثيقة .

2- أنها كثيرا ما تحب وصف نفسها بالصغر مثل قولها وكنت جارية حديثة السن .

وإليك نص كلامه : " أنها – أي السيدة عائشة – كانت تسمع تقديرات سنها ممن كان حولهـا لأنهـا لـم تقرأها بداهة في وثيقة مكتوبة ، فكان يعجبها على سنة الأنوثة الخالدة أن تأخذ بأصغرها ، وكانت هي كثيرا ما تدل بالصغر بين أترابها فلا تنسى إذا اقتضى الحديث ذلك أن تقول : وكنت يومئذ جارية حديثة السن ، أو كنت يومئذ صغيرة لا أحفظ شيئا من القرأن ، إلى أشباه ذلك من أحاديثها في هذا المعنى . "([2])

ولعل ما دفع العقاد إلى هذا التأويل هو معرفته بورود رواية التسع في أصح كتب الحديث وهما صحيحي البخاري ومسلم ، فأراد أن يجد لها تأويلاً .إلا أن هذا التأويل جاء متعسفاً ، ويفهم منه عدم تصديقه بالرواية، وهذا ينتهي في النهاية إلى ردها ، والدليل على ذلك يظهر من خلال الرد على هذه الشبهة على النحو التالي:

[1] - تاريخ الرسل والملوك 2/ 351 دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، 1407هـ

[2] - الصديقة بنت الصديق ص 49 .

الرد على هذه الشبهة من وجوه:

أولهاً : إن هذا التأويل يخرج الكلام من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي دون داع يقتضيه سوى ما ذكرته سابقا من التسليم للمستشرقين وأعداء الإسلام من استحالة الزواج في هذه السن قياساً على حال الفتيات في هذا السن اليوم

فإذا ثبت خطأ هذا القياس ، فما الداعي إلى إخراج الكلام الصريح من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي ، ونحن نعلم أن حمل اللفظ على الحقيقة أولى من حمله على المجاز .

ثانيها : هل هناك من يهتم بمعرفة بسن المرء أكثر من المرء نفسه ؟ والسيدة عائشة هنا هي التي تتحدث عن نفسها ، فهل يعلم العقاد أو غيره سنها أكثر منها ؟

ثم إن حديثها عن عمرها لابد أن يكون قد بلغ أخوتها الكبار أمثال عبد الرحمن وأسماء - خاصة والراوي له ابن أختها عروة بن الزبير – فلو بالغت هي في تقدير سنها ألم تكن أسماء أو عبد الرحمن ليصححا لها ذلك ، وهم ممن حضروا ولادتها ؟! فحيث إنهم سكتوا على هذا التقدير فهذا إقرار منهم بصحته.

ثالثها : كون عمر السيدة عائشة لم يكن مدونا في وثيقة مثل أيامنا هذه هل يطعن في معرفتها بعمرها الصحيح ؟ وماذا لو طبقنا هذا على عمر النبي ρ ومراحل الدعوة ، والغزوات ، وكل أحداث السيرة النبوية، وهي كلها لم تكن مدونة في وثائق ؟

إن العرب ، وأن كانت أمة أمية لم تنتشر في أوساطها الكتابة . لكن ا Y منحهم عوضا عن ذلك قوة الحافظة ، وحدة الذاكرة ، فكانوا يسجلون تواريخهم في ذاكرتهم وينقلونها لأبنائهم جيلا بعد جيلا ، وكانوا يؤرخون بالحوادث العظيمة التي تقع في العام ، فيسمون هذا العام بعام الفيل أو عام الحزن أو غير ذلك ، ومن هنا استطعنا معرفة عمر رسول ا ρ ، ومعرفة جميع تواريخ السيرة النبوية المطهرة .

رابعها : إن الاستناد على قول السيدة عائشة في بعض الأحاديث أنها صغيرة السن للتدليل على أنها كانت من النساء اللاتي يحببن الدلال بتصغير أنفسهن قول فيه إسراف ومجازفة كبيرة ، والدليل على ذلك أن غير السيدة عائشة كان يصفها بذلك ، ويقرها على حداثة سنها ، فهل يمكن أن يفسر هذا أيضاً على أنه دلال النساء ؟

ومن ذلك ما ذكرته جاريتها بريرة عنها في حديث الأفك حين قالت : " لا أعتب عليها في شيء سوى أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله ."([1]) وهذا كان في السنة السادسة من الهجرة بعد زواجها بحوالي أربع سنوات .

[1] - متفق عليه صحيح البخاري ك/ الشهادات ب/ إذا عدل رجل أحداً فقال لانعلم إلا خيرا ... 3 / 168 ح 2637 صحيح مسلم ك/ التوبة ب/ في حديث الإفك وقبول توبة القاذف 4/ 1114 ح / 2769 .

وفي نفس قصة الأفك كان الرهط الذين يحملون هودجها على البعير لايشعرون بعدم وجودها فيه لخفتهـا وصغرها.([1])

ولما نزلت آية التخيير أشار عليها النبي ρ بمراجعة والديها لما يعلم من حداثة سنها . فهل يمكن أن يكون كل هذا من باب سنة الأنوثة الخالدة – كما يدعي العقاد - .

خامسها : إن السيدة عائشة لا تحتاج إلى أن تظهر صغر سنها بتقدير غير صحيح ، لأنها كانـت أصـغر نساء النبي ρ على أي تقدير في سنها ، فلا تحتاج إلى دلال النساء اللاتي يتحدث عنهن العقاد .

من خلال هذه الأدلة يظهر لنا ما في هذا التأويل من تعسف وبطلان ، ويكفي أن صاحبه يكذب إنساناً في معرفته بعمره ، ومعرفة أسرته ومن حوله بهذا العمر على الرغم من أنه لم ير ذلك الإنسان ، ولم يعاصره ، ولم يقم دليلاً صحيحاً على هذا التكذيب !!!!

الشبهة الثالثة عشرة : شبهة السند

ادعى من يشكك في رواية الصحيحين في زواج النبي ρ بالسيدة عائشة بأن سند الرواية الـوارد فـي مواضع من صحيح البخاري معلول وضعيف فقالوا : " جاء الحديث الذي ذكر فيه سن (أم المـؤمنين) فـي صحيح البخاري بخمس طرق ترجع كلها إلى راو واحد وهو عروة الذي تفرد بالحـديث عـن أم المـؤمنين (عائشة) ، وتفرد بروايته عنه ابنه (هشام) ، وفي (هشام) تكمن المشكلة ، حيث قال فيه ابن حجر في (هـدي الساري) و(التهذيب): « وقال عبد الرحمن بن يوسف بن خراش : كان مالك لا يرضاه ، بلغني أن مالكا نقم عليه حديثه لأهل العراق ، قدم – جاء - الكوفة ثلاث مرات ، قدمةً – مرة - كان يقول: حدثنى أبي ، قـال سمعت عائشة ، وقدم – جاء - الثانية فكان يقول: أخبرنى أبي عن عائشة،وقدم – جاء - الثالثة فكان يقول: أبي عن عائشة».

والمعنى : أن (هشام بن عروة) كان صدوقا في المدينة المنورة ،ثم لما ذهب للعراق بدأ حفظـه للحـديث يسوء، وبدأ يقول (عن) أبي ، بدلا من (سمعت أو حدثني)، وكلمة (سمعت) أو (حدثني) أقـوى مـن قـول الراوي (عن فلان) ، والحديث في البخاري هكذا يقول فيه (هشام)عن (أبي) وليس (سمعت أو حدثني)، وهو ما يؤيد الشك في سند الحديث .

ثم أن الإمام (مالك) قال : إن حديث (هشام) بالعراق لا يقبل. فإذا طبقنا هذا على الحديث الـذي أخرجـه البخاري لوجدنا أنه محق ، فالحديث لم يروه راو واحد من المدينة بل كلهم عراقيون مما يقطع أن (هشام بـن عروة) قد رواه بالعراق ، بعد أن ساء حفظه ، ولا يعقل أن يمكث (هشام) بالمدينة عمرا طويلا ، ولا يـذكر حديثا مثل هذا ، ولو مرة واحدة ، لهذا فإننا لا نجد أي ذكر لعمر السيدة (عائشة) عند زواجها بـالنبي فـي كتاب (الموطأ) للإمام مالك ، وهو الذي رأى وسمع (هشام بن عروة) مباشرة بالمدينة ، فكفى بهاتين العلتين للشك في سند الرواية في البخاري."

---

[1] - انظر المرجعين السابقين نفس الكتاب والصفحة .

وللرد على هذه الشبهة أقول :

1- رواية سن السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ وردت في الصحيحين . فلماذا اقتصر هـؤلاء علـى روايات الإمام البخاري دون روايات الإمام مسلم ؟

الجواب : لأنهم يعلمون يقيناً أن روايات الإمام مسلم فيها ما يدفع دعواهم الباطلة بالشك في سند الروايـة حيث روى الإمام مسلم الرواية بثلاث طرق : الأول: هو طريق الإمام البخاري والذي ينتهي عند هشام بـن عروة .والثاني من رواية الزهري عن عروة دون أي ذكر لهشام. والثالث: من رواية الأسود عـن عائـشة دون ذكر لعروة وهشام .([1])

ومن ثم إذا افترضنا – جدلاً – صحة ما ادعاه هؤلاء المدعون في طريق هشام بن عروة فماذا سـيقولون عن طريقي الإمام مسلم الأخيرين للرواية ، وهم – دائما- ما يقرنون في الطعن بين الصحيحين ؟؟

2- ادعي هؤلاء تفرد عروة بالرواية عن السيدة عائشة ، وهذا كلام عار عن الصحة تماما ، ففي أحـد أسانيد الإمام مسلم رواية الأسود بن يزيد عن عائشة ، وليس الأسود فقط هو الذي تابع رواية عروة عـن أم المؤمنين عائشة لهذا الحديث ففي غير الصحيحين متابعات كثيرة منها :

رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة ، وابن أبي مليكة عن عائشة وهما عند النسائي فـي الـسنن ([2]).

ورواية القاسم بن محمد ، وأبو عبيدة ، وعبد الملك بن عمير عن عائشة ، وهذه الروايات الثلاث فـي المعجم الكبير للطبراني ([3]) . ورواية يحيي بن عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة في مسند أبي يعلى([4]) .

فهذه المتابعات الكثيرة تؤكد صحة الرواية وتقويها .

3- ادعوا كذلك تفرد هشام بالرواية عن عروة ، وهذا ادعاء باطل ، فها هو الإمام مسلم يروي الحـديث بسنده عن الزهري عن عروة – و الإمام الزهري من هو في مكانته وإمامته في السنة – ، ولـيس الإمـام الزهري فقط هو الذي تابع رواية هشام عن عروة . بل تابعها أيضا أبو الزناد (عبد ا بن ذكـوان) عـن عروة عند الإمام الطبراني في المعجم الأوسط ([5]).

4- نأتي إلى سند الإمام البخاري للرواية المذكورة حيث ادعي هؤلاء ضعف الرواية ، وأداروا هذا الحكم على راو واحد من السند وهو هشام بن عروة – رحمه ا – فما موقف علماء الجرح والتعديل من هشام ؟

---

[1] - راجع صحيح مسلم 2 / 1039 مرجع سابق .

[2] - راجع سنن النسائي (المجتبى) (6 / 131) ط/ مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ط / ثانية 1986م - سنن النسائي الكبرى 3 / 279 ط/ مؤسسة الرسالة ط/ أولى 2001م

[3] - راجع المعجم الكبير 23 / 22- 29 ط/ مكتبة العلوم والحكم بالموصل ط/ ثانية 1983م .

[4] - راجع مسند أبي يعلى 8 / 132 ط / دار المأمون للتراث بدمشق ط / أولى 1984م .

[5] - المعجم الأوسط - (7 / 94 ط/ دار الحرمين - القاهرة 1415هـ

5- قال ابن سعد في طبقاته عنه : ثقة ثبتاً كثير الحديث حجة ([1]) . وقال أبو حاتم الرازي : ثقة إمام في الحديث ([2]). وأورده ابن حبان في الثقات وقال عنه : كان متقنا ورعاً فاضلاً حافظاً ([3]). ووصفه الإمام الذهبي فقال : الإمام الثقة شيخ الإسلام([4]) . ويكفي هذا لبيان منزلة هشام بن عروة عند أئمة الحديث وعلمائه الأوائل .

6- هشام بن عروة روى عنه كل الأئمة بما فيهم الإمام مالك في الموطأ ، وخرج حديثه أئمة الكتب الستة ،

قال الإمام الذهبي عن حديثه : " وحديثه محتج به في " الموطأ " والصحاح، " والسنن . "([5])

ويكفي أن الإمامين البخاري ومسلم خرجا له في الصحيحين فهذه شهادة بعدالته لا تدانيها شهادة أخرى ، ولا يقبل بعدها طعن فيه إلا بدليل قاطع .

قال ابن حجر : " ينبغي لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأي راو كان مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ، ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه في الصحيح ، فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما....

وحينئذ إذا وجدنا لغيره في أحد منهم طعنا، فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا الإمام ، فلا يقبل إلا مبين السبب مفسرا بقادح يقدح في عدالة هذا الراوي وفي ضبطه مطلقا ، أو في ضبطه لخبر بعينه لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدح ومنها ما لا يقدح . وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح هذا جاز القنطرة يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه ."([6])

7- نقل هؤلاء كلاما عن عبد الرحمن بن يوسف بن خراش في طعن الإمام مالك في هشام بن عروة ؛ ولأنهم أصحاب هوى في أنفسهم ، فقد غلبهم هواهم على الأمانة في النقل ؛ فحذفوا من نص كلام عبد الرحمن مالا يوافق هواهم ، وهو ثناء عبد الرحمن وتزكيته لهشام ، وهاهو النص كما أورده ابن حجر في تهذيب التهذيب :

" قال ابن خراش كان مالك لا يرضاه ، وكان هشام صدوقا تدخل أخباره في الصحيح بلغني أن مالكا نقم عليه حديثه لأهل العراق "([7]) فحذف هذا المدعي قول عبد الرحمن : " وكان هشام صدوقا تدخل أخباره في الصحيح ".

[1] - الطبقات الكبرى 321/7 مرجع سابق .

[2] - الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي 64/9 ترجمة 249 مرجع سابق .

[3] - الثقات 5/ 502 ترجمة 5940 ط / دار الفكر ط/ أولى 1975م.

[4] - سير أعلام النبلاء 6 / 34 مرجع سابق .

[5] - السابق نفس الجزء والصفحة .

[6] - هدي الساري مقدمة فتح الباري 384/1 مرجع سابق .

[7] تهذيب التهذيب 45/11مرجع سابق .

7- ما أنكره الإمام مالك على هشام بن عروة هو أنه صار يروي عن أبيه عند قدومه للمرة الثالثة للكوفة بالعنعنة فهل هذه العنعنة تقدح في صحة الرواية ؟

أقول : لا . لأن العلائي قال : " إن الراوي الذي يطلق لفظة عن أما أن يكون لم يعرف بتدليس أو عرف به فإن لم يعرف بتدليس وكان لقاؤه لشيخه ممكنا أو ثبت لقاؤه له على اختلاف القولين لمسلم والبخاري فلفظة عن محمولة على الاتصال وليس للانقطاع وجه ، ولا للواسطة احتمال ؛ لأن الظاهر سماعه لذلك من شيخه، والأصل السلامة من وصمة التدليس ، فلا يقاس المرسل على هذا مع ظهور الفرق بينهما . "([1])

وإذا طبقنا هذا على حال هشام بن عروة مع أبيه نجد أن ما ذكره العلائي ينطبق تماماً عليه حيث لم يعرف عنه تدليساً – كما قال العلائي نفسه في ترجمته([2]) ، وثبوت اللقيا مع أبيه لاينازع فيه أحد ، ومن ثم تحمل لفظة (عن) عنده على الاتصال لا على الانقطاع ، وهذا ينفي تماماً عنه وصمة التدليس .

ولذا عقب الإمام الذهبي على ما نقله عبد الرحمن بن خراش عن مالك في شأن هشام ، وقدومه الكوفة وتساهله في الرواية مع أهلها بقوله : " الرجل حجة مطلقاً . "([3])

8- قول هؤلاء كل رواة الحديث عن هشام عراقيون كوفيون قول إن صح بالنسبة للصحيحين لايصح بالنسبة لباقي كتب السنة ، وقد بنوا طعنهم على كلام الإمام مالك السابق في رواية الكوفيين عن هشام ، فماذا سيقولون إن علموا أن هناك مدنيين ومكيين وبصريين رووا هذا الحديث عن هشام – أيضاً - .ومن ذلك :

ما أخرجه الطبراني بسنده في معجمه الكبير عن عبد الرحمن بن أبي الزنَادِ عن هِشَامِ بن عروةَ عن أبيه ([4]) ، وعبد الرحمن مدني .

وما أخرجه الطبراني بسنده – كذلك – في المعجم الكبير عن - سفْيان (بن عيينة)حدثنا هِشَام بن عروةَ عن أبيه عن عائِشَةَ([5]) ، وسفيان بن عيينة مكي .

وما أخرجه النسائي بسنده في سننه الكبرى عن جعفر بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه([6]) ، وجعفر بن سليمان بصري ... وغيرهم

فهذه الروايات عن هشام من غير أهل الكوفة تؤكد أن كلام الإمام مالك عن تساهل هشام مع أهل الكوفة لاينطبق على هذا الحديث إذ رواه هشام لغيرهم من أهل المدينة ومكة والبصرة .

9- كون حديث السيدة عائشة في شأن سنها عند الزواج لم يروه الإمام مالك في موطئه لايطعن في صحته فكم من الأحاديث الصحيحة لم ترو في الموطأ ، والإمام مالك لم يكن غرضه من تأليف الموطأ جمع

---

[1] جامع التحصيل في أحكام المراسيل ص 79 ط/ عالم الكتب – بيروت ط/ ثانية 1986 .

[2] - السابق ص 111 .

[3] - سير أعلام النبلاء 6 / 35 – وانظر له – أيضاً - ميزان الاعتدال 4 / 301 ط/ دار المعرفة بيروت لبنان بدون تاريخ .

[4] - المعجم الكبير 23 / 21 مرجع سابق .

[5] - السابق 23 / 24 .

[6] سنن النسائي الكبرى 3 / 279 مرجع سابق .

الأحاديث الصحيحة حتى نقول إن الذي ليس فيه يحكم بضعفه ، بـل إن الموطـأ فيـه الـصحيح والحـسن والضعيف .

وبهذا يتبين لنا أن ضعف السند الذي تكلم عنه هؤلاء في رواية الصحيحين أمر لا أساس له من الصحة ، وأن رواية هشام بن عروة لهذا الحديث من أقوى الروايات وأصحها ، كما قال ابن عبد البر في التمهيد :

" ورواية هشام بن عروة أصح ما قيل في ذلك من جهة النقل وا أعلم "([1])

خلاصة المبحث :

نخلص من عرض هذه الشبهات التي آثارها هؤلاء المشككون في صحة رواية الصحيحين لعمـر الـسيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ والرد عليها ، أن هذه الشبهات اضـمحلت وانمحـت ، وصـارت لاتـستطيع النهوض أمام صدق وثبوت رواية الصحيحين ، وأن هذه الشبهات نتجت عند هؤلاء نتيجة غيـاب المقيـاس الشرعي عندهم للنصوص والوقائع ، و التسليم لآراء المستشرقين دون آراء السلف ، وعـدم معرفـة قيمـة ومكانة المصادر الشرعية ، والتسرع في فهم النصوص وتأويلها دون الرجوع لأهل الـذكر والتخـصص ، وتصيد الأدلة والشبهات التي تثبت وترجح ما امتلأت به عقولهم وقلوبهم من آراء سـابقة دون تجـرد فـي البحث عن الحقيقة . لذا انطلقوا من شبهات ظنوها مسلمات . لكن عند البحث والتدقيق كانت مجرد آراء لـم يسلم بها الكثير ، ولم تحظ بالإجماع كما توهموا .

والذي كتب لهذه الآراء الطاعنة في رواية الصحيحين الذيوع والانتشار في واقعنـا المعاصـر أن ريـاح الواقع العالمي والداخلي للمسلمين كانت مواتية لها فانتشرت ، وصارت كل يوم تنتشر أكثـر ممـا قبلـه ؛ فالعولمة الغربية تزيد كل يوم من وسائلها وضغوطها في فرض المنظور الغربي لحقوق المـرأة والطفـل ، وأعداء الإسلام يصعدون كل يوم من هجومهم على الإسلام ونبيه ، ويضعونهما في قفص الاتهام بالوحـشية والإرهاب وانتهاك حقوق المرأة ...، والعلمانية ضربت بأعطانها في كثير من البلاد الإسلامية ، وصار دعاة التمسك بالثوابت الإسلامية يوصفون بالظلاميين والانغلاقيين ودعاة الجمود والتحجر ، وغـدا الطعـن فـي مصادر الإسلام وسيلة سريعة للشهرة الإعلامية والمجتمعية ...مع كل هذه الظروف وغيرها لابـد أن تجـد مثل هذه الشبهات طريقها للبروز في الواقع الإسلامي .

ولكن مع كل ذلك فإن سنة ا Y ماضية في إزهاق الباطل ودحضه ، والإبقاء على الحق ونصره .

قال Ψ : {فَأما الزبد فَيذْهب جفَاء وَأما ما ينفَع الناس فَيمكُثُ فِي الأَرض } [الرعد : 17]

---

[1] - التمهيد لابن عبد البر - (19 / 108 ط/ وزارة الأوقاف المغربية بتحقيق / سعيد أحمد إعراب سنة 1988م .

الخاتمة

وبعد .... فها قد وصلنا إلى ختام الحديث حول رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بـالنبي ρ وما ذاع من شبهات حول صحتها وصدقها ؛ لنجيب على السؤال الذي طرحناه في مقدمة البحث وهـو : هل غيرت هذه الشبهات التي عارضت رواية الصحيحين في شأن عمر السيدة عائشة عند زواجها من النبـي ρ من صدقها وصحتها ؟

أقول : لقد وقفت – أيها القارئ الكريم – على حقيقة هذه الشبهات ، وظهر لك تهافتها وتلاشيها واحدة بعد الأخرى ، ومن ثم لابد أن تكون قد وصلت معي إلى اليقين بأن الصدق والحق أن السيدة عائشة كانـت فـي التاسعة من عمرها عند زواجها بالنبي ρ كما في الصحيحين ، وأن أي تقدير لعمرها يخالف هـذه الروايـة الصحيحة محض افتراء لا أساس له من الصحة ، ومجرد أوهام لا دليل عليها .

أما عن النتائج التي يمكن استخلاصها من خلال البحث فهي كثيرة اكتفي بذكر بعضها على النحو التالي :

أولاً : أن معظم الشبهات التي يثيرها بعض المستغربين من المسلمين حول الإسـلام بمـصدريه القـرآن والسنة تنبع -غالباً-من منبعين أساسين : الأول :عدم الوقوف عند نصوص القرآن والسنة . والثاني : تقديم العقل على النص .

ثانياً : أن أعداء الإسلام لا يألوننا جهداً في التشكيك في قرآن ربنا ، وسنة نبينا ، ومن مشى ورائهم لـن يزيدوه إلا خبالاً كما أخبر الحق بذلك في القرآن الكريم،وكما ظهر من تصديق بعض من الكاتبين المـسلمين لهم في هذا الافتراء .

ثالثاً : لايوجد تعارض البتة بين الأحاديث الصحيحة بعضها مع بعض كما زعم هؤلاء الـذين عارضـوا رواية الصحيحين بروايات في الصحيحين ، وظهر عدم فهمهم لمغزى هذه الروايات وتلك.

رابعاً : ثبت من البحث أن الجهل بترتيب المصادر الإسلامية يجعل من لا علم له يقدم ما حقه التـأخير ، ويؤخر ما حقه التقديم ، وهذا يخل إخلالاً كبيراً بالبحث العلمي ، وخير مثال على ذلك هؤلاء الذين عارضوا رواية الصحيحين بكتب السيرة و التاريخ والتراجم أو غيرها من الكتب التي لاتداني الصحيحين في المنزلـة والثبوت .

خامساً : أكد البحث أن لكل علم رجاله ، ولكل فن أهله ، ومن لا يأخذ العلم من أهله يورد نفسه المزالـق كما حدث مع هؤلاء الذين رموا سند الصحيحين بالضعف ، وهم ليسوا من أهل الحديث ولا حتى من طلابه .

هذه بعض النتائج التي لاحت من خلال البحث ، ومن خلالها أوصي بما يلي :

أولاً : تقريب الصحيحين من أذهان العامة من خلال قراءتهما وشرحهما وتحفيظهما بشكل دائم ومـستمر في القنوات الفضائية الإسلامية والإذاعات الإسلامية والمساجد ، وحلقات العلم ، وكـل مـا يـساعد علـى انتشارهما بين الأمة عامة والشباب خاصة ليفهموا من خلالهما القرآن الكريم ، ويتحصنوا بهما من المكـر المبين لأعداء الدين .

ثانياً : التتبع المستمر لكل ما يثيره المستغربون والعلمانيون من شبهات حول السنة عامـة والـصحيحين خاصة ، والمسارعة إلى الرد عليها وإبطالها ، ونشر هذه الردود بكل وسيلة إعلامية ممكنة ؛ لكي لايفتنـوا بهذه الشبهات شباب الأمة ، وبعض قليلي الثقافة الإسلامية فيها . وا من وراء القصد وهو الهادي إلـى الطرق المستقيم ،،،،

<u>**ثبت بأهم المراجع**</u>

أولاً : كتاب ا العزيز (القرآن الكريم) .

ثانياً : المراجع (مرتبة ألف - باء)

1- أحكام القرآن لابن العربي ط/ دار الكتب العلمية – بيروت . بدون تاريخ .

2- الاستذكار لابن عبد البر القرطبي ط/ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى 2000م

3- الاستيعاب لابن عبد البر ط / دار الأعلام بالأردن ط/ أولى 2002م

4- أسد الغابة لابن الأثير ط/ دار الفكر بيروت د. ت .

5- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ط/ دار الجيل بيروت ط/ أولى 1412هـ .

6- أم المؤمنين السيدة عائشة ومروياتها في التفسير من الكتب الستة وتفسير الطبري - رسالة ماجستير للباحث / محمود سليمان علي - بقسم الكتاب والسنة – كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القري سنة 1410هـ

7- البداية والنهاية لابن كثير ط/ دار هجر للنشر والتوزيع - بدون تاريخ .

8- تاريخ الرسل والملوك للطبري ط/ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى 1407هـ

9- تاريخ دمشق لابن عساكر ط/ دار الفكر بيروت 1991م

10- تفسير ابن كثير ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع ط/ ثانية 1999م .

11- تفسير الطبري ط/ مؤسسة الرسالة ط : الأولى 1420 هـ - 2000 م

12- التفسير الوسيط - لمحمد سيد طنطاوي ط/ دار المعارف بالقاهرة .

13- التمهيد لابن عبد البر ط/ وزارة الأوقاف المغربية بتحقيق / سعيد أحمد إعراب سنة 1988م .

14- تنقية أصول التاريخ الإسلامي - لحسين مؤنس ط/ دار الرشاد بالقاهرة ط/ الأولى 1997م .

15- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ط/ دار الفكر بيروت ط/ أولى 1984م

16- الثقات لابن حبان ط / دار الفكر ط/ أولى 1975م.

17- جامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي ط/ عالم الكتب – بيروت ط/ ثانية 1986 .

18 - الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ط/ دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ

19- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ط / دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة الثانية 1415هـ

20 - دراسة لحياة أم المؤمنين عائشة على ضوء الكتاب والسنة –لجواهر سرور باسلوم - رسالة ماجستير بجامعة أم القرى – كلية الشريعة – الدراسات العليا الشرعية 1402هـ -

21- الروض الأنف للسهيلي ط/ دار الفكر بيروت 1989م

22 - سنن النسائي (المجتبى) ط/ مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ط / ثانية 1986م

23 - سنن النسائي الكبرى ط/ مؤسسة الرسالة ط/ أولى 2001م

24 - سير أعلام النبلاء للذهبي ط / مؤسسة الرسالة بيروت -الطبعة التاسعة 1413 هـ 1993 م
25 - سيرة ابن هشام ط/ دار الجيل بيروت 1411هـ
26 - السيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي ط/ دار المعرفة بيروت 1400هـ
27 - السيرة الشامية ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة 1997م .
28 - السيرة النبوية لابن كثير ط/ الحلبي ط 1964 م
29 - شرح ابن بطال على صحيح البخاري ط/ مكتبة الرشد - السعودية الطبعة : الثانية - 2003م
30 - صحيح ابن حبان ط / مؤسسة الرسالة – بيروت ط /ثانية 1993تحقيق : شعيب الأرنؤوط
31 - صحيح البخاري ط/ دار ابن كثير –اليمامة – بيروت ط/ ثالثة 1987م
32 - صحيح مسلم بترتيب / محمد فؤاد عبد الباقي ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت
33 - الصديقة بنت الصديق لعباس محمود العقاد ط/ نهضة مصر ط / رابعة 2005م
34 - طبقات ابن سعد ط/ دار صادر بيروت - بدون تاريخ .
35 - فتح الباري لابن حجر العسقلاني ط/ دار المعرفة - بيروت 1379 هـ
36 - المحلى لابن حزم الظاهري ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بدون تاريخ.
37- مسند أبي يعلى ط / دار المأمون للتراث بدمشق ط / أولى 1984م .
38 - المعجم الأوسط للطبراني ط/ دار الحرمين - القاهرة 1415هـ
39- المعجم الكبير للطبراني ط/ مكتبة العلوم والحكم بالموصل ط/ ثانية 1983م .
40- معرفة الصحابة لأبي نعيم الاصبهاني ط/ دار الوطن للنشر بالسعودية ط/ أولى 1998م
41- مقدمة ابن الصلاح ط / مكتبة الفارابي الطبعة : الأولى 1984 م
42- مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي ط/ وكالة المطبوعات بالكويت ط/ ثالثة 1977 .
43- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجـاج للنـووي ط/دار إحيـاء التـراث العربـي بيـروت ط/ ثانية1392هـ
44- موسوعة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر لعبد المنعم الحفني ط/ مكتبة مدبولي بالقاهرة ط / أولى 2003م .
45- ميزان الاعتدال للذهبي ط/ دار المعرفة بيروت لبنان بدون تاريخ .
46- النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي ط/ أضواء السلف بالرياض ط/ الأولى 1998م
47- النهاية في غريب الأثر لابن الأثير الجزري ط / المكتبة العلمية بيروت 1979م
48- ولاية تزويج الصغيرة - لعبد ا بن عبد العزيز الجبرين - بحث منشور ضـمن مجلـة البحـوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية العـدد /23 .

فهرس